

التعريب



مَجَلَّةُ نِصْفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

26

الأخوة
العرب
هوئلتنا
القومية

شوال 1424 - كانون الأول (ديسمبر) 2003 م

السنة الثالثة عشرة
العدد السادس والعشرون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد السادس والعشرون

شوال 1424 - كانون الأول (ديسمبر) 2003

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور محمود السيد

المدير المسؤول

الأستاذ الدكتور غسان حلبوني

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: acatap@net.sy
صفحة الانترنت: www.acatap.org
السنة الأولى: 1991 . دمشق
ع/2003/12/15

في هذا العدد

الصفحة

* بحوث ودراسات في التعريب والترجمة

- أثر القرآن في الدراسات اللغوية 11
أ. د. صالح بلعيد
- مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب 43
أ. د. مصطفى طاهر الحيادة
- تجربة الكويت في تعريب التعليم الجامعي وتعريب العلوم 69
د. ممدوح خسارة

* بحوث معربة أو مترجمة

- نماذج التعليم وطرائق التفكير 89
أ. شفيق ياسين

* بحوث في مجال التعليم العالي

- من المكتبات التقليدية إلى المكتبات الرقمية 103

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

أ. د. أبو بكر خالد سعد الله

*** من أعلام الحضارة العربية والإسلامية**

• الترجمان - دراسة في تراجمة صدر الإسلام 121

أ. طالب محيبس حسن الوائلي

*** من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2003 147**

*** قواعد النشر في المجلة 153**

افتتاحية

بقلم الأستاذ الدكتور غسان حلبوني
مدير المركز

اللغة نظير الأرض بما تملك من طاقة وثروة، إنها تؤلفان معاً الوطن الذي ننتمي إليه، ويكوّنان النسيج الحي للأمة الذي يربط بين أبنائها برباط الفكر والانتماء؛ لذلك يغدو التمسك باللغة الأم ورفع مكانتها والذود عنها في وجه أخطر أنواع الغزو - الغزو الثقافي - واجب أبناء الضاد وعربون وفائهم في زمن أردناه لحوار الحضارات، واختار الأقوياء فيه فرض طبيعة الثوب والطعام والهواء وحتى الأحلام علينا.

إن أهم أدوات صون اللغة والذود عنها هو التعريب، ولابد لنا في مقاومة هذه الهجمة الشرسة من الإصرار على تعريب جميع فعاليات الحياة ودقائقها وصولاً إلى تعريب طرائق التفكير والعقول، فجذور النخيل الضاربة في نبض الوجدان العربي لا تزال تضج بالحياة، وفي معركة الثقافة المفروضة علينا ستبقى هذه الأمة منفتحة على كل أمم الأرض في الشرق والغرب تصهر معارف العصر وتضيف إليها.

إنها كلمات المؤمنين الواثقين بما لدى هذه الأمة، كلمات من عقدوا العزم على انتصار الهوية في زمن هزائم الجيوش والعروش وعودة المغول لتمزيق الجسد العربي كما يحلو لهم. ففي عيون أجيالنا بريق غد واعد يسخر تقانات العلم والمعرفة لخدمة التعريب، غد يجمع بين روح عصر جديد وعبق تراث تهافتت أمم الأرض عليه، وبقي ينبوع إبداع لا ينضب يستصرخ أجيالنا المتعاقبة إلى العلياء.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

لقد أخبرنا التاريخ عن حرائق بغداد وعن نزيق القدس، أخبرنا عن ماء دجلة الأسود بعد إن قذفت الكتب وغرقت المكتبات في لجته، وأخبرنا أيضاً أن الصدر صانت العهد وحفظت الهوية، وأن زلزال الأرض العربية في الشرق والغرب لن يجعل مصير الطغاة والمحتلين أفضل من مصير أسلافهم مهما بلغوا من القوة والبطش.

إنها دعوة إلى الجهاد بالكلمة والفكر دفاعاً عن هوية العروبة، دعوة إلى التعريب ورفض للذوبان في الآخر، دعوة إلى صيانة إنسانية الإنسان وحرية، دعوة إلى الانفتاح على العالم والعلوم وعدم التسليم بما يُرسم لنا من حدود وأقفاص.

والله ولي التوفيق

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

بحوث ودراسات
في التعريب

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

أثر القرآن في الدراسات اللغوية

الأستاذ الدكتور: صالح بلعيد

قسم اللغة العربية – جامعة مولود معمري

تيزي وزو – الجمهورية الجزائرية

إنّ هذا الموضوع قيل فيه الكثير، فيطول الحديث إذا عدنا إلى تلك المؤلفات التي تحدّثت عن أثر القرآن في مختلف الدراسات، وعلى الخصوص الدراسات اللغوية. ومن هذا الباب فتكفيني الحاجة دون العودة للتذكير بما ناله كتاب الله من رعاية وبحث على جميع الصُّعَد، فلم تولِ أمة كتاباً من الكتب بالعناية كما فعل العرب والمسلمون بالقرآن، لأنّ القرآن شكلاً ومضموناً يتمثّل في المعاني التشريعية السامية، وفي شكل اللغة العربية التي تعدّ حصيلة دقيقة ومحكمة لعدد من اللهجات العربية.

هذه اللغة التي شرفها الله بأن صبّ كلمه في أصواتها؛ والتي كانت مبعث الاعتزاز للعربي البدوي الذي اشتهر ببلاغته العالية وهو يرتجل كلامه على السليقة بعيداً عن كلّ لبس يدنس الصفاء اللغوي، وفي هذا المجال يقول الجاحظ "ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق ولا ألدّ في الأسماع، ولا أشدّ اتّصلاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ولا أجود تقدّماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء"¹. وهكذا نزل القرآن بخطاب إلى العامة والخاصة، وبلسان عربي مبين حاملاً لرسالة بكلام أعلى من كلامهم، وبأساليب لم يعهدها في كلّ أنماطهم التي يتداولونها، ووفق نظم لم يألّفوه، فيه صُور جميلة من الإعجاز اللغوي؛ تبدّت

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: محمد عبد السلام هارون. القاهرة: 1948-1-45، ج1، ص 145.

في نظم لغوي فاقَ قدرات أصحاب البيان، ولا نظائر لها في كلام الجاهليين، فلم تكن ألسنتهم البسيطة تستطيع الصعود إلى أسلوب القرآن. نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وببلاغة تعلو وما يُعلى عليها؛ أعلاها مغدق وأسفلها مثمر، فليس من كلام البشر ولا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فلقد أعجزهم من جنس ما برعوا فيه². وكان معجزة المعجزات "بديع النظم، عذيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه"³ نزل على قوم هم أساطين البيان ومعقل الفصاحة ومنبت البلاغة، فتمثّل الإعجاز في نظم الكلام في صور جديدة، متغيرة في دلالاتها، وحسب الأرضية المعرفية لكلّ العرب، وأحدث نقلة نوعية في العربية من خلال الدراسات الدقيقة والجادة والصارمة التي لحقت البحث العلمي الذي دار في أول الأمر على الدراسات القرآنية، مثل علم القراءات الذي نشأ على أركان وقواعد هامة لا يرقى إليها الطعن. ولا أريد الاستفاضة كثيراً في هذا الجانب الذي نال كفاية، وسوف أركّز عملي في جانب النحو دون غيره. ومن خلال ما أستهدفه تتوضّح محدّدات الموضوع في العناصر التالية:

أولاً: القرآن الكريم مفجّر الدراسات اللغوية

لو نتعرّض للجانب التاريخي في هذه النقطة نرى أنّ مبدأ الشفاهية كان هو السائد في الكلام العربي من العصر الجاهلي إلى غاية نزول القرآن الكريم "ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه

² «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج 73.

«وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين» البقرة 23-24.

«قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الإسراء 88.

³ ع/علوي عبد الله طاهر "فضل القرآن الكريم على علوم اللغة العربية" مجلة التواصل. اليمن: 2000، جامعة عدن، العدد السادس.

أفواجاً وأقبلوا إليه إرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها، فتفتن لذلك من نافر بطباعه سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سبّوا في تقييدها لمن ضاعت عليه وتنقيها لمن زاعت عنه⁴. وهكذا لم يفكر العرب في تقييد كلامهم بالصورة التي كانت عند الأمم الأخرى، رغم بعض المحاولات البسيطة التي نقلتها لنا الروايات، مثل المذهبات التي كتبت وعُلقت على أستار الكعبة. وهذا له مبرره العلمي من حيث إنّ العربي سليقي⁵ وواع لأنماط لغته، يردها بفصاحة متميزة، يرتجل كلاماً في مواقف تستدعي الإضافة، ويهجر كلاماً أصبح غير ذي وظيفة. ومع نزول القرآن الكريم لعامة الناس، دخل غير العرب في هذا الدين، فاحتج إلى تدبر معانيه البلاغية والمجازية والإعجازية للعرب، بله الحديث عن غير العرب الذين بدأوا يدخلون في هذا الدين، فأرادوا تعلم العربية لفهم الدين الجديد. ولقد هيأ لها الله من أسباب الجمع لحمايتها من لغات الوافدين وكى لا تضع في متاهات واسعة، فقام رجال ينقلونها من المشافهة إلى التحرير.

وغني عن القول بأن اللغة متى اتصلت بغيرها أثرت وتأثرت، وهذا بالطبع يؤدي إلى ظهور نمط جديد من المصطلحات، وهو شيء لا بد منه في التداخل اللغوي، بل يعمل أحياناً على سد الفراغ في اللغة المغلوبة. وما هو غير محبب عندما تتداخل الأنماط النحوية في لغة ما، ويكون ذلك سبباً لحدوث خدوش في اللغة الأصل وقد تُفقد بعض خصائصها، وهذا ما كاد يحدث في قراءة القرآن؛ حيث بدأ اللحن يشكّل ظاهرة خطيرة على قراءة القرآن، كما مسّ لغة العامة، وهدد سلامة لغة بيوت النحويين. ولما بدأ التحريف ينال القرآن الكريم هبّ أولو الأمر يضعون القواعد اللغوية التي تصونه من كل زيغ.

⁴ أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: ط الخانجي.

⁵ ولقد كان السليقي منهم يفتخر على النحوي فيقول:

ولكنّي سليقي أقول فأعرب.

ولست بنحوي بلوك لسانه

ومن خلال ما قدّمنا به يمكن اعتبار اللحن في القرآن الكريم العامل الأساس لبداية ظهور الحركة اللغوية والتي بدأت في عصر الخلفاء، وامتدّت لظهور مدارس واتّجاهات وآراء تشيد بدور القرآن الكريم في أنّه حافظ اللغة ومستخرج علومها، ولولاه لأصابها الضياع والتشتّت ولأصبحت لغّيات. ومن هنا يظهر الفضل الكبير الذي أسداه القرآن للغة العربية، وتعدّى هذا الفضل إلى أن يمسّ الحديث النبوي المتمثّل في لغة الرسول ﷺ فلما حُمل الرسالة أصبح كلامه من السمو وحسن النظم، مع أنّه لا يخطّ بيمينه ولا يقرأ بلسانه كتاباً، ولكن في كلّ كلمة تصدر من فيه إشراقة نور، وبلاغة نيرة لأنّه أُوتي جوامع الكلم، وهو القائل "أنا أفصح العرب بيدّ أيّ من قريش" كيف لا يكون فصيحاً وهو الذي هجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، ولم يتكلّم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة وشدّ بالتأييد، ويسرّ بالتوفيق. "أما النّبي محمد ﷺ فقد أرسل إلى قوم نبغوا في فنون الشعر والفصاحة والبلاغة على الفطرة، فجاءهم بالقرآن معاجز فصاحة وبلاغة ومعارف وعلوم لم يتحدّ به الأمة التي أنزل بلغتها ولا العصر الذي جاء فيه فحسب، وإنّما تحدّى به جميع الأمم والعصور إلى يوم الدين"⁶.

1. اللّحن في القرآن الكريم ووضع القوانين اللغوية

برز اللحن في قراءة بعض الآيات يهدّم مقوّمات دلالاتها التي تؤدّي إلى تقويض المعنى المرام، فحورب في مبدأ أمره بقوة خوف استفحال الظاهرة، وأعلنت الحرب على اللحانيين بذمّهم بالعبارات الجارحة والألفاظ الدامية والكلمات القاسية حتى أصبح هجّة كلّ لحن وظهّرت مصنّفات في لحن العامة والخاصة تنشد تنقية العربية منه ومن شروبه وأخطاره التي لو تُركت وشأنها لقضت على لغة القرآن. وهكذا عدّ اللحن المبعث الأول لقيام الغيورين على شأن اللغة العربية بوضع قواعد تحفظ القرآن في وجوهه المعجزة التي نزل بها بلغة عربية مبينة؛ تحمل خصائص منطوقهم النصيح وباحتوائه على المتواتر من لغاتهم، فهو حقل خصيب ينطوي على تاريخ العربية وأصول منابعها الثرية ويكون مصدراً أوفى من غيره في دراسة اللهجات العربية

⁶ محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن. القاهرة: 1978، ص 6-9 بتصرّف.

القديمة. وقد جاء في أكثر الروايات أنّ عصر الخلفاء شهد ظهور نواة اللّحن؛ فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ت 23 هـ سمع اللحن في قراءة القرآن فاعتبر ذلك خروجاً عن الدين بقوله: "أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ". كما يروى عنه أنّه قال: "لا يقرأ القرآن إلا عالمٌ باللغة". وعثمان بن عفان رضي الله عنه ت 35 هـ يعمل على جمع القرآن وتوحيده في مصحف عثمان كي لا تفترق الأمة في قراءتها للقرآن، ولكن يستقل الأمر أكثر في عصر علي كرم الله وجهه ت 40 هـ والذي يذكر علياً في الجانب العلمي، يذكر قول الرسول صلى الله عليه وآله "أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتني من بابي" وتتبعه علي لخطورة الأمر فأعطى أبا الأسود الدؤلي ت 69 هـ بعض الأصول في النّحو وقال له: انحُ هذا النّحو. وفي عهد زياد بن أبيه ت 53 هـ والي العراق في عهد معاوية الذي يشهد الفتوحات الكبيرة، يزداد بروز اللّحن بعامل التلاّح بين العرب وغيرهم من شعوب البلدان المفتوحة، فيأمر أبا الأسود بوضع النّحو "اعمل شيئاً تكون فيه للنّاس إماماً وينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله، أو يعرف به كتاب الله عزّ وجلّ". وأهاب أبو الأسود هذا الأمر لعظمته، ولما سمع قارئاً يقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ بريء من المشركين ورسوله﴾ بكسر رسوله، قصد زياد بن أبيه، وقال له: أنا أفعل ما أمر به الأمير. ومهما تختلف الروايات في بعض التفاصيل فإنّها تتفق في أنّ العامل الديني كان الباعث على بداية ظهور الحركة اللغوية لما بدأ اللحن يهدّد القرآن، وبذلك ظهرت عبر الزمن مراحل الضبط اللغوي والتمثّلة في:

1.1 مرحلة النقط والإعجام: لم تكن المصاحف كما تنقل لنا الروايات في مبدأ أمرها منقوطة الحروف ولا مسكوّنة، ولقد أدّى غياب النقط إلى عجمة في القراءة الصحيحة بعد موت الصحابة، نتيجة اللبس في قراءة بعض الكلمات، مثل: كلمة بيت المجردة من النقط تحتل: ثيب/ نبت/ بنت/ تثب/ تثب/ تثب... إلّا بالعودة إلى السياق الكلامي الذي يرسّ على الصواب، ونظراً لبداية غياب السليقة اللغوية، وموت حفاظ القرآن كان لابدّ من أن يحصل هذا الإشكال الذي احتاج إلى إصلاح متدرّج "كانت تلك المصاحف غفلاً من النقط والشكل، فإنّ رسمها ظلّ يحتمل وجوهاً من القراءات الرويّة عن رسول الله، فما طابق من هذه الوجوه رواية من هذه الروايات أخذ به واعتمد، وما لم يطابق اطّرح وأعرض عنه، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد

الخط⁷. ونعرف أنَّ الكتابة في تلك الفترة عند العرب كان حظّها قليلاً⁸ فقد كانوا يكتبون بعض المواثيق والعهود والأحلاف، ويدوّنون الأشعار التي استُجيدت فقط؛ لأنّ التدوين غال، وأصحابه من القلة بـمكان. وتنصّ الروايات على أنّ أبا الأسود الدؤلي ضبط المصحف ضبطاً إعرابياً حتى لا تتحرف الألسنة عن النهج الصحيح أثناء قراءته، باعتماد منهج بسيط؛ وهو دعوة كاتب بأخذ صبغاً يخالف المداد الذي كُتب به المصحف، فقال له: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه وعلى أعلاه، فإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين" وهذا المنهج العلمي البسيط كان الخطوة الأولى لمحاربة التصحيف والتحريف، وهو ضبط اللغة بتنقيط المصحف تنقيط إعراب. وبقيت فراغات أخرى تحتاج إلى ضبط أكثر؛ لأنّ الحدث الجديد لم يحلّ مشكلة تشابه الحروف. وفي هذه المرحلة تشير الروايات إلى أنّ أبا الأسود حلّ مشكلة موقع الحركات فقط، ومات وما تزال مشكلة العجمة في الحروف المتشابهة، وترك طلابه يبحثون عن حلّ، فأوجدوا حلاً بعد مدة كبيرة، وعن طريقه وقع التمييز بين المتشابهة: الباء والتاء والثاء/ العين والغين/ الصاد والضاد/ الطاء والظاء/ الفاء والقاف/ النون والياء/ الراء والزاي/ الدال والذال/ الجيم والحاء والخاء.

2.1 مرحلة الشكل: كانت البحوث الأولى في مسألة الاصطلاح الخطّي النواة لظهور طبقة أولى من العلماء الذين يعملون على تطوير اللغة العربية في جوانب شتى، فسار الرعيل الأول على النهج نفسه الذي بدأه أبو الأسود بالبحث في قضايا اللغة العربية، ولم يأت منتصف القرن الثاني الهجري حتى حلّت كثيراً من القضايا الداخلية في اللغة؛ فيحلّ الخليل بن أحمد ت 170هـ معضلة الشكل التي كانت فتحة كبيرة للعربية آنذاك "الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو

⁷ محمد حسان الطيّان "القراءات القرآنية وعلاقتها بالأصوات واللهجات" مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق: 1997 المجلد 72، الجزء 2، ص 272.

⁸ إ-ك- أحمد الكوتي "الكتابة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام" مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق: 1986، المجلد 61، الجزء 2، ص 348-361.

مأخوذ من صَوَر الحروف؛ فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوخة فوق الحرف"⁹ وبذلك تكون هذه الاجتهادات خطوة بارزة في غرس الجذور الأولى لنشأة النحْو العربي. ونخلص هنا لنرى أنَّ للقرآن الكريم فضلاً على الرسم الإملائي في اللغة العربية، ولولاه لما تطوّر هذا الرسم الذي دخل منظومة الإعلام الآلي، وتكتب به هذه اللغة الشريفة. وقد اعتمد يومها في أكثر من مائتي لغة كخط أصيل، وبكل أسف كان ذلك زمان وقد ولى، وما بقيت إلا سبع وثلاثون (37) لغة تعتمد هذا الحرف، والخوف أنَّ هذا العدد يتراجع.

3.1 مرحلة النحْو: يعدّ النحْو في الكلام كالمح في الطعام¹⁰، فهو الذي يهتم بالمقاييس الدقيقة لصحة الكلام وعن طريقه تُضبط أواخر الكلمات، وتبين مفاصلها وتعلّقها بأختها المجاورة لها إعراباً ومعنى، وهو الأداة التي توصلنا لفهم التراكيب وتحليلها، وعن طريقه توصف منظومة اللغة بصورة رسمية Formel لدخول مصاف العلوم المنضبطة. ولقد جاء هذا العلم لضبط أواخر الكلمات وانتهاج سمت العرب في كلامها، بعدما فشا اللحن بفساد الألسنة واختلالها في النطق والتركيب¹¹. ويعدّ ظهور النحْو المعلمة الكبرى في تاريخ اللغة العربية التي انتشرت بسرعة في آفاق متعدّدة، فاحتاجت إلى ضبط قواعدها كي تتقل القرآن الكريم سليماً خارج الجزيرة العربية، ولتتعلّم حباً في ذاتها وفي علومها. ولذلك ظهرت علوم كثيرة مع نهاية القرن الثاني ذات العلاقة بالحقل القرآني: علم القراءات - علم التفسير - علم الجرح والتعديل - علم أصول الفقه - علم الفقه - علم الفرائض - علم الخلافات - علم الجدل - علم الكلام - علم اللسان. ومن المسلم به أنَّ العلوم الإسلامية والعربية كلّها نشأت بوحى من القرآن، ونضجت في رحابه لخدمته، ولولاه لم تقم.

⁹ عمر رضا كحالة، اللغة العربية وعلومها. دمشق: 1971، ص 112.

¹⁰ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1969. بيروت: ص 65.

¹¹ إبراهيم عبد الله رفيده، النحْو وكتب التفسير، ط1-3. ليبيا: 1982-1990، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بنغازي ج1، ص 33.

ثانياً: نشأة النّحو العربي

النّحو من علوم اللسان؛ نشأ من الوصف العام للغة العرب، باعتماد قواعد صارمة في أخذ اللغة أثناء التحريات اللغوية، والقبائل التي تؤخذ عنها، والرواة، والرقعة الجغرافية، وهذا منذ منتصف القرن الثاني الهجري، فقام بذلك الجهد الجبار جيش من الباحثين وطبقات من اللغويين المجتهدين، في عمل جماعي، يعضده فريق جماع اللغة، وهم اللغويون، وفريق آخر وهم النّحاة المصنّفون والمربّتون والمفهرسون لما أتى به اللغويون من البادية، وما سمعوه على أفواه العرب الخلص، ويُخرجون ذلك في كتيبات بسيطة بساطة البحث اللغوي آنذاك. جهد متميّز ينتظم في مدرسة تعاونها أبو الأسود ونصر بن عاصم ت 89هـ ويحيى بن يعمر، وعبد الرحمن بن هرمز ت 117هـ، وأبو عمرو بن العلاء ت 154هـ، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد ت 170هـ، ويونس بن حبيب ت 182هـ، وعمر بن قنبر المسمى بسبويه ت 180هـ؛ الذي أقسم أن يبرع في النّحو كي لا يخطئه أحد نتيجة الغلطة التي خطّاه فيها حماد بن سلمة عندما يستمليه حديث رسول الله "ليس من أصحابي إلا من شئت لأخذت عنه ليس أبا الدرداء فقال سبويه: ليس أبو الدرداء، وكان يظنّ أنّ ليس هنا ناسخة، فقال له حماد: لقد لحنت ياسبويه، ليس أبا الدرداء لأنّ ليس هنا أداة استثناء، فقال: لا جرم لأطلبن علم النّحو حتى لا يلحنني فيه أحد أبداً، وقد حصل ذلك فأصبح بارعاً متميّزاً. ويضاف إلى هذه الطبقات أذاذ طلقوا الدنيا، وكان همهم تدبّر القرآن عن طريق هذه اللغة التي ارتبطت به. ولقد تركّز البحث في مبدأ الأمر على البحث اللغوي نتيجة ارتباط اللغة بفهم القرآن وأمور الشريعة "اللغة والنّحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"¹² وهذا الارتباط أعطى المجال للتدبّر اللغوي الدقيق لدرجة أنّ

¹² ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، ط2، بيروت: 1979، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر المجلد الأول، ص 514.

بعضهم قرن تعلّم اللغة العربية بالواجب لفهم دقائق القرآن، فيقول ابن تيمية "إنّ اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتمّ الواجب به فهو واجب"¹³ وفي موضع آخر يقول: **فقه العربية هو الطريق إلى فقه أقوال الدين، وفقه الشريعة هو فقه أعماله.** وهناك من فتن بها وذهب مذاهب قريبة من الهوس إلى درجة المغالاة "وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن تقيس قياساً لم يقيسوه لأنّ في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها، ونكتة الباب أنّ اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن" وهذا في الحقيقة مرفوض ويجب أن نفرق بين قدسية اللغة والعمل على تطويرها. ولكن يحيلنا هذا التشدد والحرص على أنّ البحث ضروري في خصائص النحو العربي لما له من دور أساس في فهم القرآن الكريم.

استمر البحث الجدّي في هذا العلم، وظهرت ثمراته في أول عمل جماعي وهو الكتاب لسبويه ت 180هـ كتاب مستقى من أستاذه الخليل، ومن أهل الثقة، ومن وصف العربية في كثير من لغاتها، ولقد استطاع هذا الفارسي الفذّ أن ينظّم أبواب النحو العربي، ويبدع مفرداته، وينتبه إلى أخطاء العامة والخاصة، باعتماد المنهج الوصفي الصارم في القياس والعلّة والشاهد اللغوي حتى وُصف كتابه بالبحر الكبير، وقيل فيه: من أراد أن يضع كتاباً في النحو بعد كتاب سبويه فليستح/ أو هل ركب البحر؟ فهو كتاب عظيم عظمة اللغة التي حملت هذا القرآن العظيم. يظهر الكتاب في وقت اشتدّ التنافس على التأليف المختلط، وتداخلت العلوم فيما بينها، لأنّها نشأت متزامنة متداخلة يفيد بعضها بعضاً، وتطوّرت لتتبادل التأثير والتأثر عبر اللفظ وبين مسالك الأصالة والفرعية، رغم أنّ كثيراً من العلوم لم تدرس لذاتها وفي ذاتها، بل لكلّ علم أغراض. وفي كلّ ذلك كان القرآن يحتلّ الرتبة الأولى؛ حيث إنّ الله "أودع فيه سبحانه وتعالى كلّ شيء... فترى كل ذي فنّ منه يستمدّ وعليه يعتمد، فالفقيه منه يستنبط الأحكام ويستخرج منه الحلال والحرام، والتّحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول وصوابه،

¹³ مازن المبارك، نحو وعي لغوي. بيروت: دار المعرفة، المقدمة.

والبياني يهتدي به إلى حسن النظام¹⁴. وأمام هذا نشأت مصطلحات متداخلة تمثل أوج التداخل بين العلوم والأخذ عن البعض، وتشابك العلاقات بينها، فساهم هذا التداخل في إثراء العلوم وتوجيهها نحو غاية خدمة القرآن الكريم، بمعنى خدمة اللغة العربية، وذلك ما يحيلنا إلى اكتمال النظرية اللغوية عند العرب في القرون الأولى، وعلى ضوء ذلك تأسست النهضة الحضارية الإسلامية المبنية على التكامل بين ملكة التأمل النظري، وملكة الاستثمار العملي، بين البعد الديني إلى جانب البعد اللغوي.

وهكذا فإن مرونة العربية جعلها تستقبل القرآن لتكون لغته المعبرة عن معان سامية وتعبيرات راقية وتشريعات محكمة وآداب متكاملة وقيم صافية، وكيف لا تتطور بعد الحركات الفكرية التي عاشها القرن الثالث والرابع وما جاء به المعتزلة والمتصوفة. فلم تجمد على ما هي عليه، بل امتدت إليها يد التطور منذ عصر الفتوحات، وظلت تعمل فيها محدثة ألواناً شتى من التغيير، فأدّى إلى أن ينشط التقدم اللغوي، بظهور التأليف المتخصص، ويحدث فيها تطور رهيب يمس أركانها الداخلية من مرونة وتطور صوتي واجتماعي ودلالي، ويمتد إلى الأركان الخارجية بأن تستقبل مصطلحات جديدة في شتى التخصصات نتيجة احتكاكها باللغات الأخرى. وخلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجري تنشط الساحة اللغوية بظهور جبال من المؤلفات، فنشهد تخمة نحوية في ظلّ تقهقر الإبداع، وبدأت تظهر الشروح وشروح الشواهد وشرح الشروح والحواشي والشروح على الحواشي، وكلّ تلك المؤلفات لم تخرج عن برنوس القدامى وخاصة سيبويه، وتظهر ردّة من النحو ويزدهر الناس عن تعلّمه، وكيف يكون أخذ القرآن في ظلّ غياب الأحكام النحوية التي تعقل المعنى، وبذلك تستفحل القضية، وتظهر مشكلة لغوية كبيرة لتأخذ أبعاداً اجتماعية لم يرض بها الخاصة ولا العامة؛ لأنّه بدأ الفصل يظهر بين علوم اللغة ذاتها، فيؤلف عبد القاهر ت 471هـ كتابه دلائل الإعجاز في علم المعاني يستنكر هذا الزهد، ويعتبر الصادّ عن تعلّم النحو

¹⁴ عبد النبي الكبير "التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم اللغوية: من أين؟ وكيف؟" مجلة دراسات مصطلحية. المغرب: 2001، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بفاس، العدد 1، ص 118.

مثل الصادّ عن تعلّم كلام الله، ويدعو إلى تمتين الروابط بين النّحو والبلاغة "وأما زهدهم في النّحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدّم من ذمّ الشعر وأشبه أن يكون صادّاً عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه وذلك لأنّهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم أنّ الأغراض مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان من كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه. ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه، وإلا من خالط في الحقائق نفسه، وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه، ولم ير بالنقصان والكمال لها يعرض وأثر الغيبة وهو يجد إلى الريح سبيلاً"¹⁵. وليت يدرك طلابنا اليوم أهمية النّحو في إصلاح أخطائهم، ويعرفون قيمته الأساسية في منظومة كلّ العلوم وعلى الأخصّ العلوم الشرعية. وليت طلابنا يعلمون أنّ النّحو الذي ينفّر منه كثيرهم، ويستقلّونه هو حلية مزينة وخصيصة من خصائص العربية وهو وسيلة للوصول إلى المعنى الذي يجلو به الإعراب، وهو خصيصة اللغة العربية "وهو من أهمّ ما يحبّب مادة النّحو إلى الطلبة فيدركون جمال العربية وسموها، ويتذوّقونها فيرون أنّ الإعراب الذي يملّه عموم المتعلمين ويستقلّونه إنّما هو مزينة من مزايا العربية، وإنّه يؤدّي فوائد معنوية ودقة في التعبير عن المعنى وحرمت منها اللغات المبنية ويدركون أنّ الصّور التعبيرية المتعددة إنّما هي صور لمعان متعددة، وإنّه لا تكون هناك صورتان تعبيريتان لمعنى واحد إلا إذا كان ذلك لغة، وفيما عدا ذلك يكون لكلّ تعبير معنى خاص به"¹⁶.

ولا نغادر ذلك الوقت دون أن نشير إلى أنّ المجال اللغوي الذي شهد هزّات كبيرة تدعو إلى إعادة النظر في العلّة والقياس والشاهد، وتطعن النّحو العربي في أصوله التي قيل إنّها بنيت على الجبر، وهذه الدعوات كان منشؤها الأندلس على يد ابن مضاء القرطبي ت 592هـ وابن رشد

¹⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط4. القاهرة: 1367هـ طبعة دار المنار، ص21.

¹⁶ فاضل صالح السامرائي "النّحو الميسر" مجلة المجمع العلمي. بغداد: 1994، محاضرات الدّوات المفتوحة، ص62.

ت 595هـ، وتتناول الدعوة صدى في المشرق والمغرب وهذا بالدعوة إلى الإلغاء في بعض أجزاء النّحو، والعودة إلى الأصول، دون تقديم منهجية الإلغاء، وما هي الأصول التي تعتمد، ويدخل العالم الإسلامي في سبات دام أربعة قرون.

ثالثاً: التأليف المختلط

كان هذا في المراحل الأولى من بداية البحث في القرآن الكريم، حيث كان سمة العصور الأولى؛ والتي تمزج بين الفقه والنّحو وأمور الدين، فلقد ظهرت أمثال هذه العناوين: معاني القرآن - مجاز القرآن - تأويل القرآن، لكلّ من الفراء، أبو عبيدة، الأخفش، ابن قتيبة. كما ظهرت النوادر والأمثال لكلّ من أبي زيد، ابن الأعرابي، أبي مسحل... ولقد كانت العلاقات التاريخية بين النّحو العربي والعلوم الإسلامية¹⁷ جدّ مترابطة إلى درجة أن قيل: **لابدّ للفقيه أن يكون نحويّاً لغويّاً**، وإلا فهو ناقص، ولا يحلّ له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء وبعده عن فهم الأخبار. كما تروي لنا الروايات أنّ الفقيه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قال عنه الخليفة هارون الرشيد يوم مات: **اليوم دفنت الفقه والعربية بالري**. وهذه الشواهد تعطي لنا الصورة الصادقة عن ذلك الارتباط بين أصول النّحو وأصول الفقه، حيث ظلّ المفسرون واللغويون يتناولون ألفاظ القرآن الغربية من حيث معانيها المفردة، ويعنون بالمعنى العام من حيث أصله اللغوي وتطوّره من الحقيقة إلى المجاز، ويبحثون في غريب اللغة للكشف عن غموضها.

1.3 نحاة فقهاء: نجد الرعيّل الأول أمثال: أبا الأسود الدؤلي، وعبد الرحمن بن هرمز، وعبد الله بن أبي إسحاق، وأبا عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والفراء، والمبّرّد، والأخفش الأوسط وثعلب، وأبا سعيد السيرافي، وأبا علي الفارسي، والرماني، وابن جني. وينضم إليه تلاميذ أبي عمرو بن العلاء: كالأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري... وغيرهم. ونجد إلى جانبهم النّحاة المفسرين أمثال: الزجاج، والزّمخشري، وأبا حيان النّحوي، وابن

¹⁷ ينظر محمد الحباس، النّحو العربي والعلوم الإسلامية، أطروحة دكتوراه الدولة. الجزائر: 2002، نوقشت في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر.

هشام. وهؤلاء النحاة المفسرون كانوا يمزجون في مؤلفاتهم بين مجموعة من العلوم، وينقلون من مسألة إلى أخرى؛ باعتبار أنّ العلوم لما تتفصل، فهي تتشابه، وتخدم بعضها بعضاً، بل إنّ كثيراً منهم إذا سُئل عن مسألة فقهية يستعين بحلّها بمسائل النحوي، ومما يروى عن الفراء أنّه قيل له: يا أبا زكريا أريد أن أسألك في الفقه؟ فقال: سلّ، فقال: ما تقول في رجل سها في سجدتي السهو؟ قال لا شيء عليه، قال: من أين قلت ذلك؟ قال قسته على مذاهنا في العربية، وذلك أنّ المصغّر لا يصغّر وكذلك لا يلتفت إلى السهو في السهو. كما يروى عن الجرمي أنّه كان يفتي للناس من كتاب سيبويه¹⁸، وكان ابن جني ينتزع العلل من كتب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة¹⁹، وكان ابن يعيش يشرح المسائل النحوية من خلال ربطها بالشرع، ومن ذلك رأى أنّ المفرد أصل والجملة الواقعة صفة فرع عليه، وأنّ نظير ذلك في الشريعة شهادة المراتين فرع على شهادة الرجل²⁰... تلكم بعض الاستشهادات عن نحاة فقهاء بصُروا بعلوم الدين فاستغلّوا علمهم في تفسير علوم اللغة، وكانوا يتكلّمون عن أصول لسانهم وكأنّهم يقيمون موازنات بينه وبين الشريعة، كما تكلّموا عن "تحصيل الفائدة في الكلام كلام الفقهاء وعن تحصيل المصلحة، وتحدّثوا عن مقاصد المتكلّم وحاجة المخاطب إلى العلم بالجديد حديث الفقهاء عن مقاصد الشرع، وافتقار المكلف وصاحبته، وتحدّثوا عن التوسّع في الظروف وحروف الجر حديث الفقهاء عن كون الوسائل يغتفر فيها ما لا يغتفر في المقاصد"²¹. وهكذا نرى بعض النحاة لم يمنعه اختصاصهم في الحديث عن أمور الفقه، في الوقت الذي اشتدّت مظاهر التداخل والتكامل في العلوم، كما نجد من لا يستطيع أو يتحرّج من الإفتاء في مسألة هي خارج اختصاصه، وفي هذا الصدد روى أبو حاتم السجستاني أنّ عامل أهل البصرة سأل المازني النحوي عن مسألة في كفارة

¹⁸ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين. القاهرة: ص 750.

¹⁹ ابن جني، الخصائص. القاهرة: ج1، ص 163-206-208.

²⁰ ابن علي بن يعيش، شرح المفصل. القاهرة: ج3، ص 54.

²¹ عبد الرحمن بودرع "مصطلح اللسان في العلوم الشرعية" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس/ ظهر المهرارز. فاس. المغرب: 1996، ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، ج1، ص 186.

الظهار فقال: فلست صاحب فقه. وإنما أنا صاحب عربية. وسأل إبراهيم بن سفيان الزيايدي اللغوي عن مسألة في الطلاق فأجاب: ليس هذا من علمي، وسأل هلال بن يحيى الفقيه عن مسألة في إسناد الحديث فقال: ليس هذا من علمي، وسأل سليمان بن داود الشاذكوني المحدث عن مسألة في القراءات فقال: ليس هذا من علمي، وسأل أبا حاتم السجستاني: يا أبا حاتم كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه فصاحة أهل البصرة والكوفة، وتسألهم النظر والنظرة فقال: لست - يرحمك الله - صاحب بلاغة وكتابة، أنا صاحب قرآن، فقال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة ولا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحل ولم يمز²².

2.3 الأصول واحدة: جمع ناظم معاني النحو التي تعدّ من الأصول ذات العلاقة بالفقه، فقال:

للنحو سبعُ معانٍ قد أتت لغةٌ	جمعتها ضمن بيتٍ مفرد كُملاً
قصد ومثل ومقدار وناحية	نوع وبعض وحرف فاحفظ المثالا

لم تظهر كتب كثيرة في الفقه بنفس الكمّ الذي ظهر في النحو العربي قديماً وحديثاً، فلقد أسرع سلفنا لابتكار هذا الفنّ الذي حصّن القرآن واللغة، وهذا يعني أنّ الخصوصية التي يحتكم إليها النّحو أعمق لأنّه الطريق إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله. ولذلك ظهرت كتب الأصول وأدلة النّحو بدءاً من الكتاب إلى الأصول في النّحو لابن السراج؛ وعن طريقه عقل النّحو، ويظهر خصائص ابن جني الذي حوى مسائل النّحو والصرف وفقه اللغة وأصول العربية والأصوات ودقائق أسرار التعبير العالي، وهو أحد علماء مدرسة القياس، وواحد من أفاضل المدرسة الخليلية، ويمتاز بالعقلية المنطقية. ولذلك وجدنا النّحو العربي يقوم على ثوابت مشتركة وعن طريقها أدّى الرسالة المنوطة به، وهي تبليغ شرع الله بهذه اللغة الدقيقة. وكان الكلام في معظم أبوابه أصول الفقه، ومسائله مبنية على علم الإعراب، وأصول اللغة محمولة على أصول الشريعة، كما أنّ أصول النّحو أدلة النّحو التي تقرّعت منها فروع وفصوله، وأصول الفقه التي تنوّعت عنها جملة

²² عبد الرحمن بودرع "مصطلح اللسان في العلوم الشرعية" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس/ ظهر المهرار. فاس. المغرب: 1996، ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، ج1، ص 187.

وتفصيله. ومن وراء ذلك وقع الفصل بين المتشابهات عن طريق ما تؤدّيه الدلالات اللغوية وهي تتغيّر من موقع لآخر، فإذا تغيّر النظم لا بدّ أن يتغيّر المعنى، مثلاً:

- كيف أنت ومحمد: سؤال عنه وعن محمد.
- كيف أنت ومحمداً: سؤال عن العلاقة بينهما.
- أخوك في الدار مقرئ: تدلّ على أنّ أخاك إذا أراد أن يقرئ فإنّما يقرئ في الدار.
- أخوك في الدار مقرئاً: تدلّ على أنّه كان وقت الإخبار يقوم بالإقراء في الدار.

ويمكن أن نقرب الموضوع أكثر لنشير إلى الأمثلة التي كانت تتداول عند النّحاة الأوائل للتمييز بين مختلف الأساليب ولما توضع لها القوانين، ولكنّها تدرك عن طريق المعنى. فقولك:

- ما أسهلّ الدرس - تعجّب.
- ما أسهلّ الدرس - استفهام.
- ما أسهلّ الدرس - نفي.

كما يمكن التعرّض إلى القضية التي عرضها الكسائي مع أبي يوسف القاضي في مجلس الخليفة هارون الرشيد، إذ قال: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمّ النّحو، فقلت: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامك؟ وقال له آخر: أنا قاتلُ غلامك، أيهما كنت تأخذ؟ قال: آخذهما جميعاً. فقال هارون الرشيد: أخطأت، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام، هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامك بالإضافة؛ لأنّه فعل ماضٍ، وأما الذي قال: أنا قاتلُ غلامك بالنصب فلا يؤخذ؛ لأنّه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله ﷻ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فلولا أنّ التّوئين مستقبل ما جاز فيه غداً. فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنّحو²³. وهذا ما يلمس من دقّة الدلالة في قوله تعالى: ﴿وما تكون في شأنٍ وما تتلوا منه من قرآنٍ ولا تعملون من عملٍ إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ

²³ ع/ حورية الخياط "إعادة بناء مفاهيم النّحو" مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق: 1997، المجلد 73، الجزء 4، ص 969.

تفيضون فيه وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر في كتاب مبین» يونس 61. وقوله: «وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عن مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبین» سبأ 3. الأولى نفي بالميم (ما يعزب) الثانية نفي باللام (لا يعزب) كما أفرد السماء في الأولى وجمعها في الثانية، نصب (أصغر وأكبر) ورفعها في الثانية. وهذا كله بغرض ما يتعلّق بالمعنى، فكلّ تعبير معنى خاص به. ونتج عن هذا أدلة نحوية عمل بها الفقهاء في تفسير معنى إعراب القرآن بما يتفق مع المعنى الاصطلاحي للإعراب، وما ينطبق على الحقيقة الشرعية ينطبق على الحقيقة اللغوية، وهو نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى جديد مع ملاحظة العلة التي تربط بين المعنيين (المجاز) وتترك الحقيقة بدلالة الاستعمال عرفاً؛ لأنّ الكلام موضوع للفهام والمطلوب به ما تسبق إليه الأوهام... وإنّ الوقوف على هذه الأمثلة ترينا طاقة اللغة العربية وقدرتها على استيعاب العلوم، وظلّت تتسع بالإسلام وباتساع الدراسات القرآنية وظهور العلوم المختلفة، حتى بلغت مجدها في العصر العباسي.

3.3 المصطلحات المشتركة: إنّ التأليف المختلط بالطبع أدّى إلى توظيف المصطلحات المشتركة بين العلوم، وفي هذا المقام نسرد مجموعة من المصطلحات المشتركة بين علم الفقه والنحو العربي: النقض/ المعارضة/ فساد الاعتبار/ القدح/ الجرح/ التعديل/ العلة/ القياس/ المنع/ المباح/ الجائز/ السماع/ الدفع/ العلة/ الحدّ/ الجائز/ الترجيح/ المذهب/ التقويم/ الاطراد/ الشاذ/ الواجب/ الجائز/ التأويل/ الثقة/ حدثنا من لا أتهم/ حدثنا من نتق به أنّه.../ النقل/ التحمل/ الإملاء.../ وهناك بعض المصطلحات التي تتقارب بنوع من الفروق الدقيقة مثل: الشبيه/ النظر/ الفصل/ الجرح/ والتعديل...

ولا يفوتنا في هذا لنشير إلى كثير من الأحكام الفقهية تطلق في مقام النحو، والعكس يصحّ، أمثال: الضرورات تبيح المحظورات، وهي قاعدة فقهية طبّقها النحاة في الانزياح الشعري، وقالوا يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره/ لا اجتهد فيما فيه نصّ/ لا قياس مع السماع/ مطّرد في القياس والاستعمال/ مطّرد في القياس شاذ في الاستعمال/ مطّرد في الاستعمال وشاذ في القياس/ شاذ

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

في القياس والاستعمال. والكلام عند الفقهاء: الحسن/ المتواتر. وعند اللغويين: الوحشي/ الغريب والشاذ/ النادر. كما أنّ أمثلتهم واحدة: قام زيد وجاء عمر/ صلى زيد وحجّ عمر. انقسم الفقهاء إلى مذاهب، وانقسم النّحاة إلى مدارس. مصطلحات الرواية عند النّحاة: أنشدني/ أنشد بعضهم/ حدّثني. ومصطلحات الرواية عند المحدثين: قال/ سمعت/ حدّثني. ابن الطراوة يقول في تقسيم الألفاظ: ينقسم الألفاظ إلى واجب وممتنع وجائز. وابن مالك يستعمل المباح: فما أبيح افعل ودع ما لم يُبيح. ويقول النّحاة في حدّ العلة: تقدير الفرع بحكم الأصل، أو حمل فرع على أصل والفقهاء: حمل فرع على أصل في بعض أحكامه معنى يجمع بينهما، أو إظهار مثل حكم الأصل في الفرع لوجود علة بينهما. الفقيه يعتمد نصاً سماوياً يرسم للناس الحلال والحرام والواجب والحائز، والنّحوي يعتمد على شواهد أرضية منطوقة من كلام البشر. إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال هذا تعبدّي، وإذا عجز النّحوي قال هذا مسموع. الشاذ عند الفقهاء أن يروى الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس، وليس من ذلك أن يروى ما لم يرو غيره، وعند اللغويين هو ما يقوله عربي قحّ لكنّه خارج الاستعمال العام، فقالوا: الشاذ حجة يحفظ ولا يقاس عليه. الفقهاء يعللون للآيات المخالفة لعرف اللغة بعلل إيمانية ولغات قبائل، اللغويون يعلّلون الخلاف في الإعراب حسب ما يعتقدون به من آراء وما يأتون به من علل أو حجج. ابن الأنباري يقول النّحو معقول من منقول، كما أنّ الفقه معقول من منقول. ألف الفقهاء كتباً في الفقه أمثال: الأشباه والنظائر للشافعي، فألف السيوطي الأشباه والنظائر في النّحو... ويمكن التعرّض في هذا المقام للشروط العلمية الصارمة التي وضعت في أخذ الرواية عند المحدثين واللغويين؛ لنرى القواسم المشتركة بارزة للعيان: فتؤخذ الرواية عند المحدثين سماعاً عن:

- الراوية الثقة.
- الصادق الأمين.
- العادل.
- الدراية بالتفسير والتأويل.
- عدم الفسق.

وتؤخذ الرواية عند اللغويين كما يلي:

- السماع من لفظ الشيخ أو الأعرابي.
- السماع على الشيخ بقراءة غيره.
- الإجازة.
- المكاتبة.
- الوجدادة.

كما أنّ آداب الراوي عند المحدثين واللغويين واحدة، وهي:

- تؤخذ الرواية سماعاً عمّن توفرت فيه:
- الثقة.
- الصدق والأمانة.
- العدل.
- الدراية والتأويل.
- عدم الفسق.

وأنّ أخذ الحديث عند المحدثين، فنّ كما يلي:

- تصحيح النّيّة.
- الدؤوب والملازمة.
- الرحلة في طلب العلم.
- الإيماء أو الاستملاء.
- الإفتاء.
- تقبيد العلم وحفظه.

وتلخّصت معالم مصطلح الحديث في:

1. عدالة الرواة والناقلين.

2. ضبط الرواة والناقلين .

3. اتصال الرواية والإسناد .

4. أن يكون المنقول غير شاذ ولا معلوم²⁴ .

وعند اللغويين وُضعت له الشروط التالية:

• الدؤوب والملازمة .

• الكتابة والقيد .

• الرحلة .

• حفظ الشعر .

• التثبت في الرواية .

• الرفق بمن يؤخذ عنهم .

وما يتعلّق بالإسناد فإننا نجد المنظومة النحوية محمّلة في كثير من جوانبها بالمضمون الأخلاقي ذي البعد الديني، ويظهر ذلك في استعمالهم: قبيح/ جائز/ كذب/ محال/ مستقيم/ غير جائز... وهذه المصطلحات تدور في فلك العلوم الشرعية والأصل منها، ولذلك نجد ما يتعلّق بالإسناد متشابهاً، فيدور بين: معرفة الصحيح الثابت/ معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ويثبت/ ومعرفة المتواتر والآحاد/ ومعرفة المرسل والمنقطع/ ومعرفة الأفراد/ ومعرفة من تقبل روايته ومن تردّد/ ومعرفة طرق الأخذ والتحمّل/ ومعرفة المصنوع من الموضوع. تلکم بعض العينات التي تدلّنا على طريقة سلوك علماء اللغة بعلم اللسان مسلك العلوم الإسلامية. كما يمكن أن أعرض بعض الأزواج المتقابلة بين التفسير والتأويل والمستمدة من لغة الأصوليين:

تفسير ← تأويل. لفظ ← معنى. ظاهر ← خفي. واضح ← غامض. صريح ← كناية.
نصّ ← مشكل. مفسر ← مجمل. محكم ← متشابه. حقيقة ← مجاز واحد ← متعدّد.

²⁴ فاروق حمادة "تأسيس المصطلح النقدي بين المحدثين والأدباء" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. المغرب: 1988، عدد خاص بندوة: المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، ص 390-391.

رواية ← دراية. نقل ← عقل. سماع ← اتباع.

والحاصل أنّ الفصل لم يكن قائماً في القرون الأربعة الهجرية الأولى، بل هناك نظرة تقديس للكتاب الخالد الذي يشكّل ثروة لغوية كبيرة مستقى من كلام العرب الذي جاء مهذباً لعاداتهم النطقية، ومجدّداً في أسلوبها.

رابعاً: أثر علوم الشرع في النّحو

رأينا أنّ الأبحاث التي قامت في أول أمرها ما كانت تكون لولا القرآن الكريم الذي فجر فيها طاقة الحركة والإبداع، فنشأت العلوم يخدم بعضها البعض الآخر، ولم يقع الفصل بينها إلا بعد أن وقع التأصيل لمختلف العلوم، وهذا بعد القرن الرابع أين ظهر التأليف المتخصّص. وأما قبل القرن الرابع الهجري فكانت العلوم متداخلة، والمدارس متنوّعة الاختصاصات رغم ما اختصّت به الكوفة بالفقه، والبصرة في مجال النّحو. وإذا قنا التأليف المتخصّص فلا يجب أن نفهم التأليف الدقيق الذي يعتمد الآن؛ لأنّ في مرحلة التأليف المتخصّص، لم يستقلّ النّحو عن الفقه، حيث ظهرت مؤلّفات تمزج بينهما، مثل: غريب القرآن لابن قتيبة، غريب الحديث لابن عبيدة، إصلاح الغلط لابن قتيبة، الحروف لابن سكيت، كتاب الأمثال للمفضل السدوسي، كتب أخرى مثل: كتاب الخيل والطير والحيوان والإبل والوحوش... ولكن ما يمكن أن نقوله في هذا الجانب هو أنّ اللغة في الحقيقة لا يمكن أن تستقلّ عنها العلوم الأخرى، لأنّها تؤدّي بذات اللغة ولا تفهم إلا بها، ومن هنا يعدّ البحث في الاختصاص اللغوي مستقلاً، وأما اللغة فهي جزء من أيّ اختصاص كان. وبيت القصيد هنا أنّ غياب أصول اللغة في ميدان علمي يعني التعمية، فلا يغرنّ هذا الجدار الفاصل بين الاختصاصات، وهي في الحقيقة تتكامل. ومدار الإصلاحات المعاصرة في المنظومات التربوية للأمم المتحضّرة، تعمل على هذا المزج، وتعطي للغة التدريس أهمية ما ليس لغيرها من المواد، من حيث الحجم الساعي والمعامل، وإجبارية تدريسها عبر مختلف المراحل.

وفي هذا المقام نعرج على ذكر بعض الأمثلة، وحسبي نماذج بصرت بها من خلال ما رجعت إليه، وهي حقيقة ثابتة في العلوم الشرعية، ويمثّل جانباً من الجوانب الكثيرة التي أظهرها

الإسلام ودفع اللغة إلى الازدهار الذي شهدته القرون²⁵، ومن خلالها نرى كيف طَوَّر الإسلام من مدلول كلمات: الصوم/ الحج/ الكفر/ الخمر/ الزكاة/ النفاق/ الفسق/ العمرة... فيتَّضح لنا أنَّ كثيراً من هذه الألفاظ انتقلت من المعاني الحقيقية أو من المعاني اللغوية إلى معانٍ أُخر لم تكن معروفة بهذا المعنى في زمن الجاهلية، ولقد أطلق القرآن الألفاظ وأكسبها دلالة تعبّر عن الحياة الجديدة، وهذا بعدما صفّى اللغة من أكارها وأجرى ظاهرها على بواطن أسرارها، وأنطقها بالمجاز والكناية والبدیع. ولا نقف في هذه النقطة لنشير إلى أنَّ محاولات قديمة جرت في القديم، فيروى أنَّ أحداً من الظرفاء المتحمسين لعمود الشعر العربي التقليدي قد جاء أبا تمام من بين أولئك المبدعين يوم نظم:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

فقدم له قصعة وقال: اعطني قليلاً من ماء الملام. فقال له أبو تمام لا أعطيكه حتى تأتني بريشة من جناح الذلّ، فأفحمه بإحالاته على قوله تعالى «واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة»²⁶ أتبنا بهذا الشاهد لنرى أنَّ التداخل بين العلوم كان سنةً متبعةً قديماً، والعلوم يفسّر بعضها البعض الآخر، بله الحديث عن علوم الشرع التي توظّف اللغة في الوصول إلى فكّ المعنى. كما أنَّ نظرة النحوي أو الشرعي لا تكون واحدة من حيث الوجهة المنشودة لكل واحد منها في شاهد واحد؛ لأنّ اللغويين يعملون بالدراية والقوانين الصوتية، والقراء يعملون بالرواية، فمثلاً قوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً» النحوي يحتج بها في الأفعال التي تنصب مفعولين، والفقيه يحتج بها عند الحديث عن البخل والتبذير. هذا دون الوقوف على المصلحات المتداخلة بين العلمين: النقل/ السماع/ القياس/ الإجماع/ استصحاب

²⁵ أحمد مطلوب "الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية" مجلة المجمع العلمي. بغداد: 1982، الجزء1، المجلد 33، ص 333.

²⁶ كامل حسين البصير "القرآن الكريم ونظرية الأدب بين الإغريق والعرب" مجلة المجمع العلمي. بغداد: 1983، المجلد 34، ج 4، ص 60.

الحال... إضافة إلى الأدلة الفقهية وهي الشواهد المقتبسة من القرآن والحديث النبوي الشريف، وقد يستخدم الأصوليون كثيراً من الشواهد المستمدة من شعر العرب ونثرهم للتدليل على معاني ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. ومن هنا وجدنا أكثر النحاة ألفوا في معاني القرآن، ونشير إلى: واصل بن عطاء/ أبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح/ أبي جعفر الرؤاسي/ علي بن حمزة الكسائي/ مؤرج السدوسي/ قطرب/ الفراء/ أبي عبيدة معمر بن المثنى/ الأخفش الأوسط/ الدينوري... كما نجد مؤلفات تجمع بينهما: الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير/ تفسير القرآن الكريم/ إعراب القرآن/ مشكل غريب القرآن/ مشكل معاني القرآن...

وأحياناً تتعارض وجهات النظر بينهما، وهذا شيء طبيعي جداً بحسب المقصود الذي رماه كلّ منهما، وفي هذا المجال يتأسف شاعر على نكران النحوي الذي يمارس الرقابة اللغوية على الشعر، ويلزمه بالتقييد اللغوي فيرفض له شعره إذا كان خارج العرف الذي رماه، فهذا واحد من أولئك الذين رفعت فيه عصا النحوي:

لا ينظر النحوي فيها نظري وإن لوى لحييه بالتحقّر

خامساً: الشاهد القرآني

لا جرم أن القرآن هو الشاهد اللغوي والبلاغي الرفيع، الذي لا يجوز عليه بدل الغلط، فهو شاهد اجتمعت له كلّ شروط الصحيحة والصادقة، وحتى إذا رجعنا إلى الكتاب النحوي الأول نجد أن "عدد الآيات الكريمات فيه قريب من 500 وهو نصف عدد شواهد الشعرية"²⁷. ولماذا احتلّ الشعر المرتبة الثانية في الدليل اللغوي؟ لقد احتلّ الشعر الرتبة الثانية، وهذا للتشكيك في بعض الكلام غير المتواتر، رغم أنه المدونة الأولى التي تعتمد باعتبار القرآن نزل على منوال هذه اللغة، ولكنّه لم يرق في المستوى الأسلوبى ولا الدلالي ليكون أحسن من القرآن أو يضاهيه، فمن المسلّم أن القرآن الذي بلغ قمة الفصاحة ويحمل أوجهاً متنوّعة هو الحجة التي لا يرقى إليها

²⁷ فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان. دمشق: 1999، دار الفكر. بيروت: دار الفكر المعاصر، ص

الشكّ. وإنّ العامل الديني هنا كانت له سلطته في المقام الأول، إلا أنّها لم تكن على حساب النطق الصحيح، ودلينا على ذلك استبعاد الحديث الشريف من قبل نحاة البصرة في الشواهد التي بنيت عليها قواعد اللغة.

وإنّ الحجّة في هذا المقام هو اللغة الصحيحة التي يحملها والتي لا يرقى إليها الشكّ، فبذلك أنزل المقام الأول في الشواهد عند القدماء، واعتبروه الحجّة الدامغة والدليل الأكبر والرهان الذي لا منازع، ومن هنا يقع الاحتجاج به بكثرة، وكلّ من يحتج بالقرآن يعني أنّ له دراية وافية وعمق ثقافة، وهذا من طبيعة الأمور التي كانت في وقتهم.

وأما في العصر الحاضر الذي لم ينزل القرآن الكريم منزلته، فتستخدم بعض الآيات شاهداً ودليلاً على إثبات مدلول ما، وهذا ما يزيد في ثنايا الكلام رونقاً ويضيف إليه حلاوة وطلاوة. ولكن هذا الميدان أغفلنا مجاله، وتركنا مساحات تعبيرية واسعة يمكن استخدامها في المصطلحات المعاصرة، وليت منظوماتنا التربوية تعيد الاعتبار لهذا المجال الذي يشكّل ميدان التعبير المترامي الأبعاد، أضف إلى هذا ما يحمله من الخصائص الموسيقية للحروف العربية، والذي لا شكّ فيه أنّ نظم حروف القرآن ورصفها وترتيب أوضاعها وتوظيفه للأحرف الشعرية وإقلاله من الأحرف اللاشعورية، أسلوب متميّز يغني اللغة، وهذا ما راعاه القرآن الكريم أدقّ المراعاة. وهي ظاهرة الإعجاز القرآني الذي يعلو على كلام البشر.

سادساً: آراء المحدثين في النحو القرآني

لقد رأينا أنَّ القرآن كان مفجّر علوم اللغة في التراث، وأنَّ النحو نشأ في رحاب القرآن عربياً محضاً، ويدافع إسلامية أمليتها معطيات العصر، وبوسائل محدودة حسب الأرضية المعرفية لعلماء ذلك الزمان، وهذا يدلُّ على مبلغ حرصهم على القرآن وكلام العرب، وكانت غاية الواضعين للقواعد حفظ القرآن من الخطأ، واعتماد قوانين للغة العربية تصونها من الزيغ. وعُدَّ القرآن الكريم المدوَّنة اللغوية الأولى التي اعتمدت مرجعاً لتحقيق الصواب من الخطأ قبل كلام العرب، فاستنبطت منه القوانين النحوية النموذجية والتي تقدّم الصورة النموذجية للصفاء اللغوي، وهي القواعد العربية الصحيحة في ألمع وجوها سنداَ ومتناً وأدقها تعبيراً.

تُجمع الدراسات على أنَّ القرآن الكريم هو الذي عمل على تهيئة لغوية للوحدة اللغوية بدل اللغات العربية الكثيرة، ومن هنا فإنَّ الحجة منه وإليه تعود، بدل التشتت الذي يعيشه العرب في لغاتهم التي وحدها الله بكلامه المبين، قال ابن فارس "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقربانهم، فلما جاء الله - جلّ ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت. فعفى الآخر الأول وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف. وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله ﷻ وحفظ رسول ﷺ مع اجتهدهم في مجاهدة أعداء الإسلام. فصار الذي نشأ عليه آباؤهم عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب الموارث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دون وحفظ حتى الآن²⁸. وأما لغة العرب فقد كانت لهجات،

²⁸ أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: 1977، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص

إلا أنّ منهجية قريش في اعتماد لغة فصيحة من لهجات العربية كانت جيّدة، فقد كانت مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة أسنتها إذا أنتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب²⁹. وبهذه المنهجية استطاعت أن تصفي لغتها من أدران نطقها في بعض الكلمات، وتهجر الوحشي الغريب، ولذلك نالت النصيب الأوفر في أنّ القرآن الكريم نزل بحروفها ومعانيها الفطرية فشُرّفت أيّما تشريف به. ورغم هذه المنهجيات وما أنتج في النّحو، حصل أن تضاربت الآراء واختلفت وانقسمت مدارس واتجاهات، حتى وصلنا ركام من القواعد التي يصعب على الطالب استيعابها لكثرة الجدل والفلسفة، وجعلت الطالب والمدرس ينفران منه. ولذلك ظهرت فكرة النّحو القرآني. فما هي حدوده؟

ظهر النّحو القرآني حديثاً مع ظهور المؤسسات المجمعية، تحت بند: النّحو التربوي، في الوقت الذي بدأت الأبحاث تتّجه إلى التيسير النّحوي، وهذا نتيجة ما علق به من أشياء غير وظيفية، وطرحت فكرة إعادة النظر في هذا الموروث وتصفيته مما علق به من زوائد. والحقبة إنّ فكرة النّحو القرآني تعود إلى الفراء رأس مدرسة الكوفة، فهو أول من كان يغار على النّحو القرآني، وكان يدافع عنه في زمن الفتن والملل، ووقف يقول: إنّ لغة القرآن أفصح الأساليب العربية على الإطلاق، والقرآن أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر³⁰ ويمثّل العربية الفصحى، بهذا الدفاع قيل فيه: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولا كانت العربية لأنّه حصّلها وخلصّها وهذبها وضبطها. ومع كلّ ما ناله من نقد وتجريح سواء في عصره أو في الوقت الحاضر، إلا أنّ المجمعين رأوا أنّ الخلاص من ورطة النّحو العربي المعقّد والذي سبّب في مشكلة لغوية لا بدّ من بناء نحو جديد؛ نحو تربوي مستلهم من القرآن الكريم بمختلف قراءاته، والسعي نحو التيسير. والمقصود بالتيسير أنّه لا حرج في قراءته بما هو في لغات العرب من حيث إنّ الله أذن لهم في

²⁹ أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص 33.

³⁰ الفراء، معاني القرآن، الجزء الأول، ص 140.

ذلك، أضف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف وهي لغات القرآن الكريم، وهذا مصداق لقول رسوله ﷺ "أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف" صحيح البخاري. بل ذهب بعضهم بأنّ الله "أجاز قراءة القرآن بالفصح من لهجات العرب المتداولة، وحرّم قراءة القرآن بغير الفصح من اللهجات، ومعنى هذا أنّ القرآن قد صوّى اللغة من أكارها، وخلصها ممّا يخرجها عن أصولها اللفظية وتخيّر من ألفاظ القبائل ما هو أبلغ في دلالة على المعنى فضّمه إليه، ولهذا ارتقى باللغة في التعبير عن المعنى المراد، وكانت لغة القرآن بهذا هي أبلغ لغة اختارها العرب³¹ كما أنّ اختلاف لغات العرب شيء قائم، وهذا ما سجّله كلام العرب ونزل بها الوحي "اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدهما الاختلاف في الحركات: نستعين ونستعين، الاختلاف في الهمز والتلين نحو: مستزئون ومستزهون، ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: صاعقة وصاقعة، ومنه الاختلاف في الإمالة والتفخيم، ومنه الاختلاف في التذكير والتأنيث فإنّ من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النحل، ومنهم من يقول: هذا البقر وهذا النحل، ومنها الاختلاف في الإدغام نحو: مهتدون ومهدون، ومنها الاختلاف في الإعراب نحو: ما زيد قائماً وما زيد قائم، وإنّ هذين وإنّ هذان، ومنها الاختلاف في صور الجمع نحو: أسرى وأسارى، ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل هذه أمه وهذه أمة، ومنها الاختلاف في الزيادة نحو: انظر وانظور. كلّ هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، وهي إن كانت تقوم دون قوم فإنّها لما انتشرت تعاورها كلّ³². ويمكن أن نقول إنّ المعطيات العصرية تحتاج إلى إعادة النظر في هذا النحو الذي هو عدّة العربية، ويحتاج إلى فصل المتغيّر عن الثابت. وإدراك الأصل من الفرع، وما يمكن أن يمسّ وما لا يمكن، وحذف بعض المهمل وإدراج المغفل... لأنّ النّحاة السابقين غفلوا أشياء ذكرها القرآن ولم تدرج في القواعد؛ كونها غير مطّردة، كما أنّ بعض الفروع لم تشر إليها القواعد بتاتاً، أضف إلى هذا أنّ العرب لا تستوي في المعرفة

³¹ توفيق الطويل "بين لغة القرآن الكريم، ولغة الفلسفة" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1989، الجزء 58، ص

³² أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص 28-29.

بجميع ما في القريب من الغريب، والمتشابه، بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض و«ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم». ولذلك انبرى نحارير معاصرون على غرار فِعل الفراء في كتابه: لغات القرآن، يؤلفون ويدعون هذه الدعوة. فنجد عبد الستار الجواري يؤلف سنة 1962 كتابين: نحو القرآن/ نحو التيسير، يدعو فيهما إلى تلمس النّحو من خلال القرآن الكريم فقط، دون العودة إلى كلام العرب. وهذا من منطلق أنّ اللغة العربية هي الأمة في حالي التقدّم والتأخر، وفي حالي القوة والضعف، وما دامت قواعد اللغة وقوانينها تمثل جوهر كلامها، فيجب أن نهتم بها في إصلاح منظوماتنا اللغوية، ويرى أنّ النّحو هو العمدة في كلّ الإصلاحات، ومن وراء ذلك يقدّم مجموعة من الأفكار النظرية لبناء نحو جديد يعيد للغة العربية نضارتها التي سلبتها الكتب النّحوية للمتأخرين من النّحاة، وهذا عن طريق العودة إلى الأصول ويكون القرآن الكريم النموذج المحتذى.

إن فكرة النّحو القرآني لم تطرح لولا الجدار الذي وصلت إليه مختلف الدعوات والموجات التيسيرية في النّحو، والتي بدأت منذ 1938 مع لجنة وزارة المعارف المصرية والتي خلّصت إلى تقديم تنازلات نظرية لجعل النّحو العربي وسيلة عملية سهلة يصبح مثله مثل النّحو في اللغات الحية، ثم تلتها إصلاحات مجمع اللغة العربية المصري، وتبدأ من سنة 1940 إلى 1960م موجة أخرى بتشكيل مؤتمرات وندوات، وخلالها قدّمت توصيات واقتراحات. وما يلاحظ على هذه الفترة أنّ المجمع المصري قد أسرف في التساهل؛ فانتقل من نقيض لآخر لدرجة التسيّب، وما ينعي على المجمعين أنّهم بعيدون عن لغة العامة، فقد كانوا منغلقيين على أنفسهم وفي أبراجهم، حتى تناول عليهم المختصون، ورأوا البون شاسعاً بين ما يقرّرون وبين المحيط نزلت شاقولية بتيسيرات واهية أحياناً. ومن نقيض إلى نقيض أصبحوا غير متشدّدين، فعملوا بطرائق الجواز، والتعديل والإضافة، ومكّنوا أحياناً الذوق. فما أخرجنا إلى قرارات معتدلة لا إسراف فيها، حتى تجد مكاناً للتطبيق لا يخلّ بالأصل. وما هو الحلّ الذي يضمن لنا احترام هذا التراث الذي تراكم عبر خمسة عشر قرناً، والمعطيات العصرية، فلا بدّ من الإلزام وإلا لا تكون للقرارات فعالية. وتأتي مرحلة ما بعد الستينيات، وفيها تعقد المؤتمرات والندوات، وتدعو إلى قراءة جديدة في النّحو

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

العربي. ولكن كلّ هذه المؤتمرات خلصت إلى طرح أفكار نظرية ولم تقدّم الحلّ الشافي لمعضلة النّحو العربي، ولذلك هبّت أصوات تدعو إلى بناء نحو قرآني.

يجب أن نشير بأن رواد فكرة نحو القرآن هم من القلة بمكان، فطرح من مجتمعيين عراقيين. وفي الحقيقة إنَّ معالم هذا النحو القرآني لم تتحدّد بالشكل المطلوب، وكل ما طرح فيه هو:

1. إقامة نحو جديد يستخلص من القرآن الكريم دون غيره.
2. اعتماد القراءات القرآنية كاملة.
3. تشذيب النحو القديم ممّا هو غير مطّرد في القرآن الكريم.
4. إجبارية حفظ كثير من الآيات القرآنية والشعر القديم.
5. اعتماد علم اللسان العربي في تعليم النحو العربي.
6. الاهتمام بالطرق التدريسية.

ومع أنّ الفكرة جيّدة في حدّ ذاتها، ولكنّها تحتاج إلى تعميق وإلى فرق البحث لحلّ كلّ القضايا ذات العلاقة بين القرآن والحديث النبوي من جهة، والقرآن وكلام العرب من جهة ثانية. كما أنّ القرآن حمّال أوجه نزل بلغات العرب. أضف إلى هذا أنّ القراءات عديدة فهناك السبعية³³ وهناك العشرية³⁴ ولكن إذا أردنا العودة إلى القرآن، فأيّ قراءة قرآنية تُعتمد، فإذا اعتمدنا قراءة ما

³³ وقرأوها هم:

- عبد الله بن عامر الشامي ت 118هـ.
- عبد الله بن كثير المكي ت 120هـ.
- عاصم بن أبي النجود الكوفي ت 128هـ.
- أبو عمرو بن العلاء ت 154هـ.
- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ت 156هـ.
- نافع بن عبد الرحمن المدني ت 179هـ.
- علي بن حمزة الكسائي الكوفي ت 187هـ.

³⁴ وقرأوها هم:

- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني ت 130هـ.
- يعقوب الحضرمي البصري ت 205هـ.
- خلف البزار الكوفي ت 225هـ.

فنقع أحياناً في الخلط بينها، أضف إلى ذلك إمكانية الاتفاق وهي ضئيلة جداً، فكلّ متعصّب إلى قراءته، كما نعلم أنّ النّحاة بعدما قوي نفوذهم أصبحوا يشرّعون فرفضوا الاحتجاج بالحديث وبالقرآيات الشاذة، واستطاع بعضهم التّطاول حتى على القراءات السبعية³⁵ رغم أنّها الحجّة و"القراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومجتمعهم في الاهتداء إلى سواء الصراط"³⁶. كما أنّ القرآن ليس كتاب لغة، هو كتاب تشريع، والقراءة فيه متبعة تؤخذ رواية وسماعاً لا قياساً وتطبيقاً. أضف إلى هذا طغيان قراء الكوفة في النّحو القرآني، فهذا يعني دعوة لإلغاء النّحو البصري، واستبداله لنّحو الكوفة. علماً أنّ الكوفيين لم يكونوا صارمين في مجال الحدود اللغوية "وتشعبت مناهج البحث عند هؤلاء النّحاة، حتى ضاعت الغاية من وضع النّحو، فقد جعل الكوفيون كلّ شاذ ونادر قاعدة لنفسه، فانتشرت عليهم قواعدهم، ولم يعد لها ما يملكها من نظام أو منطق"³⁷. إنّ فكرة صعوبة النّحو ليس في الحقيقة مردّها إلى اتّجاه أو مدرسة، أو إلى وضع نحو جديد، فصعوبته تعود إلى عوامل سياسية ونفسية واجتماعية، والمشكلة لا يتحمّلها النّحو، بقدر ما تتحمّلها جهات كثيرة مسؤولة عن سوء الأداء اللغوي في العربية. وإنّ قصورنا عن إتقان اللغة العربية قضية شائكة، وحلّها يكمن في مجموعة من المعطيات النفسية والاجتماعية والعلمية. وليس من الضروري بمكان أن نقدّم كلّ الحلول الآن، بل يمكن تقديم حلول جزئية، وهي أولى خطوات النجاح. ولا أريد التأكيد على مقترحات وتوصيات سابقة، والتي لم تخرج من تلك الأوراق التي سوّدتها، بل أريد أن أقدم شيئاً ملموساً، وأعتبرها مفتاح الحلّ. فإنّ لنا أن نعمل في الاتّجاه الذي يحدّد موقع اللغة العربية من السياسة اللغوية (الإصلاحات المتتالية) ومن وراء ذلك نتحدّث عن تدخّل اللسانيات في تعليمات النّحو العربي، وهذا بدوره يحتاج إلى تضافر مجموعة

³⁵ أحمد علم الدين الجندي "الصراع بين القراء والنّحاة" مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1984، الجزء الثالث والثلاثون ص 159.

³⁶ لطف الإشارات، الجزء الأول، ص 171.

³⁷ عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط1. عمان: 1986، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص 31.

من الأولويات يمكن تحديدها فيما يلي:

1. العمل على تحضير المعلم الكفاء الذي يحفظ القرآن الكريم بمختلف قراءاته.
2. تدريس المادة الدراسية النحوية في ضوء اللسانيات التربوية.
3. التخفيف من سلطة العامل والعلّة.
4. تصنيف جديد يراعي الموظف من اللغة.
5. اعتماد الطريقة التكاملية في ميدان التربية.
6. التركيز على حفظ الشواهد القرآنية والشعرية.

التحريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب

الدكتور مصطفى طاهر الحيادة

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية المعلمين بحائل - السعودية

تمثل المصطلحات الحلقات الأولى في التواصل بين العلماء والدراسيين، لما تقوم به من نقل المفاهيم بصورة مبسطة ميسرة تساعدهم على نقل ما يدور في نفوسهم من أفكار وتجسيد ذلك بصورة تمكن الآخرين من الاطلاع على نتائجهم ومناقشته والأخذ به أو رده أو تصحيحه وتقويمه. وهذا الأمر من شأنه أن يرتقي بالعلوم المختلفة ويسهم في تطور الحضارات وتقدمها.

ولما كانت هذه الأمة تعاني في هذا العصر من وقوعها تحت تأثير سيطرة الحضارة الغربية، وتنتظر ما يفد إليها من هذه الحضارات فقد عانت من مشكلات عدة؛ ليس أقلها ازدحام المصطلحات الغربية ببابها، وحاجتها لإيجاد البدائل من الألفاظ العربية التي تحمل ما يستجد من المفاهيم الجديدة.

إن هذا السيل من المصطلحات الوافدة يضعنا أمام مسؤولية كبيرة تتمثل في الحاجة إلى مواكبة الحضارات الأخرى، والأخذ بما يستجد فيها من علوم وبحوث ودراسات مع رغبة عارمة في المحافظة على كيان لغتنا العربية وبنيتها التي سمت بها قروناً عديدة وتكفل الله بحفظها بحفظ كتابه المنزل فيها. فالميزة التي تحتلها هذه اللغة لا تتوفر للغة أخرى على وجه الأرض.

وإذا كان للمصطلحات هذه المنزلة الرفيعة في التواصل بين العلماء وحمل الأفكار المتجددة ونقلها من جيل إلى جيل، وإذا كانت اللغة هي الوعاء الذي يحمل العلوم الأخرى فإن الأجدى بها أن توفر لنفسها مصطلحات عربية غير هجينة. فما هي الأسس التي نعتمدها في بناء مصطلحاتنا؟ وما هي الوسائل والصور التي بنى عليها واضعو المصطلحات مصطلحاتهم؟ وما

مدى توافق هذا البناء مع إمكانيات اللغة العربية؟

أولاً: مفهوم المصطلح

تعود كلمة (المصطلح) إلى الأصل (صلح) الذي هو نقيض الفعل (فسد) وقد وردت مشتقات الفعل (صلح) في التنزيل وفي أحاديث النبي الكريم والمعاجم المختلفة، لكن إذا نظرنا في مشتقات الفعل (اصطلاح) فإننا لا نجد أياً من مشتقاتها في القرآن الكريم بل ترد في عدد من أحاديث النبي الكريم مثل: "ثم يصطلح الناس على رجل"، و"قلما اصطالحنا نحن وأهل مكة"، و"هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل ابن عمرو"، و"لقد اصطلاح أهل هذه البحيرة أن يتوجه"¹.

أما المعاجم اللغوية فإنها تورد الجذر دون أن تقيده بمعنى محدد، وأول معجم لغوي تناولها هو معجم تاج العروس للزبيدي بقوله: "والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة مع أمر مخصوص"².

وفي الاصطلاح فإننا نجد الجرجاني يقدم له عدداً من التعريفات؛ فهو يعرفه بأنه "عبارة عن اتفاق يقوم على تسمية الشيء باسم ينقل عن موضعه الأول"، ويقول: "إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"³.

والناظر في تعريفات الجرجاني يجد أن بعضها يحتاج إلى ضوابط ليصبح صحيحاً سائغاً. ولسنا هنا بصدد الحديث عن مواطن الضعف في بعض هذه التعريفات ولكن تكفي الإشارة إلى

¹ مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: المكتب الإسلامي ودار صادر والأحاديث على الترتيب: ج 2 ص 133، ج 4 ص 49، ص 325، ج 5 ص 203.

² تاج العروس، م 2، محمد مرتضى الزبيدي، بنغازي: دار ليبيا للنشر، مادة (صلح).

³ كتاب التعريفات، علي الجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995، ص 28.

أن جعل المصطلح ناشئاً عن اتفاق قوم يحتاج مزيد نظر؛ ذلك أن إيجاد المصطلح لا يحتاج بالضرورة إلى اجتماع واتفاق، فقد يبتكره شخص ثم يضعه في أبحاثه ومؤلفاته، ثم يجد فيه الآخرون غناء فيأخذونه. وبذلك قد يكون الاتفاق لاحقاً لوضع المصطلح. وفي مقابل ذلك نجد تعريفات أخرى مما يقدمه الجرجاني أجدر بالأخذ بها من غيرها، وبخاصة تلك التعريفات التي تشير إلى انتقال اللفظة أو نقلها للدلالة على معنى جديد غير المعنى اللغوي السابق مع وجود صلة أو رابط بين المعنى الجديد والمعنى اللغوي القديم.

وفي العصر الحديث يقدم محمود حجازي التعريف الآتي بوصفه أفضل تعريف أوروبي اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلح، وهذا التعريف هو: "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح. هو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحدد بذلك وضوحه الضروري⁴، ومن ينعم النظر في هذا التعريف الأخير يجده يركز على جانبين مهمين من جوانب المصطلح: أولهما وضوح المصطلح؛ إذ يطلب وضوحه إلى أقصى درجة ممكنة، والآخر ورود المصطلح في سياق النظام الخاص بفرع محدد، لكن اشتراطه أن يكون له ما يقابله في اللغات الأخرى أمر ربما يضعف هذا التعريف.

من هنا نجد أن من المناسب اختيار هذا التعريف بعد الاستغناء عن شروط المقابلة أو أن نأخذ بالتعريف الآخر الذي يورده محمود فهمي حجازي بقوله: "المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس؛ يكون تسمية حصرية - تسمية لشيء ويكون منظماً في نسق ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوماً"⁵.

⁴ علم المصطلح، محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع القاهرة م59، 1986، ص 54.

⁵ المرجع السابق ص 55.

واقع المصطلح الحديث

لقد أحس العلماء بأهمية المصطلح ومكانته وضرورة وضع أسس تتبع في وضع المصطلحات والتعامل معها، فنشأ تبعاً لهذا الإحساس ما يمكن تسميته بعلم المصطلح على يد كل من السوفييتي Lotte والنمساوي Wuster وهذا العلم - حسب تعريف المنظمة العالمية للتقريب: دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين متخصصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية⁶. ويعرفه علي القاسمي بأنه "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها"⁷. وتتمثل الوظيفة الأساسية لهذا العلم في دراساته الأنظمة المفاهيمية والعلائق التي تربطها داخل حقل معرفي معين، بضبط دقيق للمفاهيم والدلالات، وجرد مستفيض للألفاظ الحاملة لها قصد إيجاد المقابلات الملائمة لها من حيث الشكل والمضمون باحترام صارم للمقاييس اللغوية المتعارف عليها والمعمول بها⁸

وتأسس بعد ذلك عدد من المراكز والمؤسسات التي أخذت على عاتقها مسؤولية متابعة أمر المصطلحات والتنظير لها؛ ومن أبرز هذه المراكز مركز المعلومات الدولية للمصطلحات (الانفوتيرم Info term) الذي تأسس بناء على اتفاق بين اليونسكو والمعهد النمساوي للمصطلحات⁹

وسعى هذا المركز (الانفوتيرم) لإرساء أسس النظرية العامة لعلم المصطلحات التي تهدف للعناية بما يلي:

- المفاهيم من حيث طبيعتها وخصائصها وأنظمتها والعلاقات فيما بينهما.

⁶ علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، علي القاسمي مجلة اللسان العربي، ع 30، 1988، ص 85.
⁷ النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، علي القاسمي، مجلة اللسان العربي ع 18-1، 1980 ص 9.

⁸ علم المصطلحات وبنوك المعطيات، ليلي المسعودي، مجلة اللسان العربي ع 28، 1987، ص 85.
⁹ من أبرز هذه المؤسسات بنك المعلومات المصطلحية المقيسة والجمعية الافرنسية للمصطلحية والجمعية الفرنسية للتقريب.

- مكونات المصطلحات وتراكيبها واختصاراتها.
- العلاقات اللغوية للمصطلحات من حيث التخصص.
- التقييس والتوحيد المصطلحيان¹⁰.

كما جعل المركز من أعماله متابعة ما يتصل بالتوثيق والمعلومات في مجال المصطلحات وذلك بجمع المطبوعات المصطلحية من كل أنحاء العالم، سواء تلك المتصلة بالأسس والمعايير أو مجموعات المصطلحات المتخصصة وتقديم المعلومات عن المطبوعات الصادرة والمشروعات الجارية.

أما في وطننا العربي فقد تأخرت العناية بالمصطلحات إلى وقت متأخر، ومع هذا فقد اقتصررت الجهود العربية على مجموعة البحوث التي وضعها عدد من العلماء ويثوها في المجلات وعقد الندوات التي تسعى إلى توحيد منهجيات وضع المصطلح؛ ومن أبرزها تلك التي عقدت في الرباط سنة 1981، وتلك التي عقدت في عمان سنة 1993. ومع هذا فإن مجموعة الأسس والقواعد التي تم طرحها في هذه البحوث وهذه الندوات لم تجد التطبيق الفعال لها؛ إذ إن ذلك يقتضي وجود مؤسسة راعية تسهم في إرساء هذه الأسس وتفعيلها، وتقديم الدعم الكافي لها لتأخذ مكانها المناسب في الدراسات والبحوث ليتسنى لها الاستقرار والشيوع بين المتخصصين.

¹⁰ انظر الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريب جواد حسني سماعنة مجلة اللسان العربي ع 46، 1998، ص 41.

أركان المصطلح

ينبغي قبل متابعة واقع المصطلحات وأساليب البناء المتبعة أن نتوقف عند أركان المصطلح وأبرزها:

♦ **المفهوم:** وهو الركن الأساسي من أركان المصطلح ولسنا هنا بصدد الحديث عن الصورة الذهنية والصورة المادية كما تعرض لها "دي سوسير" فذلك أمره أمر آخر. وعند النظر في مصطلح (المفهوم) وما تشير إليه هذه اللفظة من مدلول نجد أن فيلبر يعرفه بقوله: "هو تمثيل عقلي للأشياء الفردية، وقد يمثل شيئاً واحداً أو مجموعة من الأشياء الفردية تتوفر فيها صفات مشتركة"¹¹. كما يمثل عنده المحور الأساسي للنظرية العامة للمصطلحات ونقطة البداية لأي عمل مصطلحي¹². ونظراً لأن المفاهيم صور ذهنية تحتاج إلى تقريب وتحديد في ذهن السامع أو القارئ، فإن السبيل إلى ذلك يتم بطرق ثلاث هي:

أ. تحديد المفاهيم في حد ذاتها.

ب. تحديد المفاهيم في علاقاتها بعضها ببعض وكما يعبر عنها في البناء المعرفي وتحقق وجودياً في أشكالها اللسانية.

ج. وصف المفاهيم بالشكل اللساني الذي تتزيا به فيما إذا كانت مصطلحاً أو جملة أو تعبيراً لمعرفته في اللغة الواحدة¹³.

وهذا الأمر يتطلب من العاملين في حقل المصطلحات الوعي التام بالمفاهيم وما يحددها من أصناف وخصائص ووظائف وعلاقات؛ ذلك أن لكل مفهوم بيئته التي ينتمي إليها ويتحدد مساره وفقها. ويرى ساجر أن "المفاهيم تتميز في كونها تتطوي على علاقات تتشكل بواسطة علاقات

¹¹ Helmut Felber, Terminology Manual, Paris, 1999, p 115.

¹² انظر المرجع السابق P 102

¹³ انظر نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ج ساجر، ترجمة جواد سماعة، مجلة اللسان العربي ع 47، 1999، ص 188.

مجاورة... وأن المفاهيم الجديدة يمكن أن تتشكل عن طريق ربطها بمفاهيم أخرى¹⁴. كما أن العلاقات بين موضوعات العالم الواقعي متعددة ومتنوعة فجزء هام من تشكل المفهوم "يكنم في اختيار العلاقات الخاصة بين خصائص المفاهيم، وكذلك بين المفاهيم وحتى الأشياء"¹⁵؛ ذلك أن العلاقات بين المفاهيم تمثل مجموعة تحتية لعلاقات محتملة وفي بيئة معرفية مقسمة إلى حقول موضوعية خاصة فإن المفاهيم يرتبط بعضها ببعض سواء أكانت منتمة للمجموعات التحتية ذاتها أم لغيرها. كما أن مفاهيم حقول الموضوعات ذاتها تكون مترابطة إما من خلال طبيعتها الخاصة، وإما من خلال روابط الحياة الواقعية للموضوعات التي تمثلها¹⁶. من هنا تحتاج المفاهيم المختلفة إلى عمليات تنظيم توفر على الباحثين الجهد والعناء، وتسهل عليهم ربط المفاهيم الجديدة والطارئة بالمفاهيم الواضحة والمستقرة وتحديد المواقع المناسبة للمفاهيم الجديدة. وهذا ما قامت نظرية المفاهيم لتحقيقه.

♦ **اللفظ:** ويقصد به اللفظ الذي يتم اختياره لحمل دلالة المفهوم الطارئ وضعاً وترجمة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه عند اختيار اللفظ (المصطلح) للإشارة إلى مفهوم محدد لا بد أن يتحقق في هذا اللفظ أمران:

1. ألا تجانب دلالة المصطلح اللفظية مفهومه العلمي، وهو ما يعبر عنه بالدقة العلمية.
2. ألا تجانب دلالاته المصطلح الاصطلاحية دلالاته اللغوية، وهو ما يعبر عنه بالدقة اللغوية؛ أي أن يؤدي المصطلح المفهوم العلمي المقصود، وأن يكون هذا المصطلح سليماً من الناحية اللغوية مبنى ومعنى¹⁷.

من جهة أخرى فإنه لا يشترط في اللفظ الذي نختاره للدلالة على مفهوم ما أن يستوعب كل

¹⁴ نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ج ساجر، مرجع سابق ص 188.

¹⁵ المرجع السابق ص 192.

¹⁶ المرجع السابق ص 192 - 193.

¹⁷ إشكالية الدقة في المصطلح العربي، ممدوح خسارة، مجلة التعريب، ع7، 1994، ص41.

صفات المفهوم، بل يمكن اختيار اللفظ لأدنى ترابط بين هذا اللفظ والمفهوم الذي يحمله. وقد رأينا قديماً أن العلماء كانوا يقسمون الموضوع الواحد إلى أجزائه وربما اختلفت نظرتهم في اختيار اللفظ المناسب لكل جزء من هذه الأجزاء على نحو ما نجد في تقسيم الأفعال؟ إذ نجدها تنقسم إلى ماضٍ ومضارع وأمر بدلاً من تقسيمها إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل مثلاً. فقد لجأ واضع المصطلح إلى اختيار اللفظ الأول باعتبار دلالاته الزمنية وترك هذه الدلالة في القسم الثاني لينظر إليه باعتبار مشابهته للاسم في قبوله للإعراب، ثم ترك هذه الدلالة مرة ثالثة لينظر إلى القسم الثالث باعتبار المعنى المتحصل منه فيطلق عليه لفظ (فعل الأمر).

ومع هذا لا بد أن يمتلك اللفظ الذي نختاره أسباب بقاءه فلا يتناقض في أحد وجوهه مع المفهوم الذي خصص لحمله، ولا بد أن يكون مستساغاً لدى الفئة المستخدمة لهذا اللفظ، وأن لا يخرج على الإطار العام الذي تسير وفقه الألفاظ الأخرى التي تنتمي إلى مجال الموضوع الذي يدخل فيه.

ومما يعطي اللفظ قوة سهولته وصدوره عن مؤسسة أو فرد له شأنه في العلم الذي يوضع فيه. ويدخل في اختيار اللفظ أمور أخرى نحو مدى إيجازه. فربما يبدأ اللفظ بصورة تركيب، ثم يبدأ بالتساؤل والتحول ليصل إلى كلمة أو تركيب من كلمتين، وقد رأينا مثل هذا الصنع في بدايات العمل اللغوي العربي إذا وجدنا عدداً من الألفاظ عند سيبويه بصورة تركيب، ثم بدأت تنقلص إلى أن وصلت إلى الصورة التي نراها اليوم.

♦ **الحد أو التعريف:** جاء في معنى الحد في معجم العين: "فصل ما بين كل شيئين حد بينهما، ومنتهى كل شيء حده... وحدود الله هي الأشياء التي بينها وأمر أن لا يتعدى فيها"¹⁸ وعرفه السكاكي بقوله: "الحد عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه، أو بلوازمه، أو بما يتركب منهما، تعريفاً جامعاً مانعاً. ونعني بالجامع كونه متناولاً لجميع أفرادهِ إن كانت له أفراد، وبالمانع كونه أبياً دخول غيره فيه. فإن كان ذلك الشيء حقيقة من الحقائق مثل حقيقة الحيوان والإنسان

¹⁸ كتاب العين ج3، الخليل بن أحمد، تح مهدي المخزومي ورفيقه، العراق: دار الرشيد للنشر 1981، مادة (حد).

والفرس، وقع تعريفاً للحقيقة، وإن لم يكن مثل: العنقاء، وقع تفصيلاً للفظ الدال عليه بالإجمال وكثيراً ما غير العبارة فنقول: الحد هو وصف الشيء وصفاً مساوياً، ونعني بالمساواة: أن ليس فيه زيادة تخرج فرداً من أفراد الموصوف، ولا نقصان يدخل فيه غيره¹⁹.

وقد كثر في العصر الحديث استخدام لفظة "التعريف" في مقابل لفظة الحد، مع أنهما اسمان لمسمى واحد وقُدِّم له عدة تعريفات في الكتب والمعاجم والموسوعات المتخصصة. فيعرفه عبد الرحمن بدوي بقوله: "التعريف Definition ويسمى أيضاً في كتب المنطق العربية القديمة: القول الشارح، هو مجموع الصفات التي تكون مفهوم الشيء مميزاً عما عداه، وهو إذن والشيء المعروف سواء، إذ هما تعبيران أحدهما موجز والآخر مفصل عن شيء واحد بالذات"²⁰.

والتعريف عند هيلموت فيلبر صيغة لفظية تصف مفهوماً ما، بواسطة مفاهيم أخرى ذات علاقة مميزة عن غيره من المفاهيم التي تقع في مجاله وتحدد موقعه من المنظومة المفاهيمية²¹.

ثمة أمور ينبغي توافرها في التعريف المصطلحي؛ أبرزها²²:

- تحديد المجال المعرفي للمصطلح.
- تحديد علاقة المصطلح بالمصطلحات الأخرى المتعلقة به.
- تعريف المصطلح مفهوماً.
- الانطلاق من المفهوم لتحديد المصطلح، وليس من المعنى العام، أي البدء بتعيين المفهوم لتسمية مصطلح ما.

¹⁹ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص436.

²⁰ الموسوعة الفلسفية ج1، عبد الرحمن بدوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص423-424.

²¹ انظر: المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، جواد سماعة، مجلة مجمع دمشق، م75-4، 2000، ص979.

²² المرجع السابق ص980.

من هنا يتضح أنه لا بد عند التعامل مع المصطلحات من التفريق بين التعريف المصطلحي والتعريف اللغوي العام وتقديم الأول (التعريف المصطلحي) لما يتسم به من دقة وإيجاز. أما وسائل تقديم التعريف فإننا نجد أن علماءنا القدماء اختاروا أكثر من وسيلة لتقديمه من خلالها فإما أن يقوموا بوصفه من خلال الخصائص التي يتميز بها كأن نعرّف الفاعل مثلاً بقولنا: هو الاسم المسند إليه فعل، على طريقة فَعَلَ أو شبهه وحكمه الرفع²³، وإما بذكر عناصره وأقسامه وعمله نحو تقديم ابن عقيل للحروف الناسخة بقوله: "وهي ستة أحرف: إن، وأن، وكأن، ولكن، وليت، ولعل". ثم يقول: "وهذه الحروف تعمل عكس عمل كان فتتصبب الاسم وترفع الخبر"²⁴. وقول سيبويه: "الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"²⁵ وربما عرفت المصطلحات من خلال التمثيل؛ نحو قول سيبويه في تعريف الاسم: "الاسم رجل وفرس وحائط"²⁶

ولم تخرج طرق التعريفات الحديثة عن الأساليب القديمة، بل ربما قلصت من الطرق القديمة؛ فها هو ذا "فيلبر" يشير إلى وسيلتين فقط للتعريف وهما²⁷:

1. التعريف بتخصيص الدلالة للمفهوم، ويتضمن هذا النوع من التعريف تقديم المفهوم من خلال مجموعة المواصفات الخاصة به. وهذه الوسيلة تظهر في تعريف سيبويه للفعل بقوله: (أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع)²⁷.

2. التعريف بذكر عناصر المفهوم ويتضمن هذا النوع من التعريف تقديم المفهوم عن طرق ذكر

²³ انظر: شرح ابن عقيل ج1، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار اللغات ص 462.

²⁴ شرح ابن عقيل ج1، المرجع السابق ص 345-346.

²⁵ كتاب سيبويه، ج1، تح عبد السلام هارون، ط2، 1988، القاهرة، مكتبة الخانجي ص12.

²⁶ كتاب سيبويه، ج1، ص 12.

²⁷ انظر Terminology Manual, p. 160-163.

²⁷ كتاب سيبويه ج1، ص12.

عناصره وفروعه التي يتكون منها وهذه الوسيلة استخدمها سيبويه أيضاً بقوله: (الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)²⁸.

وسائل بناء المصطلح في العربية

تقدم بيان أهمية المصطلح في التواصل بين العلماء والباحثين وضرورة إيجاد لفظ موجز يشير إلى مفهوم محدد ويتعارف مستعملوه على دلالاته من خلال التعريف الذي يقدم به. وهنا ربما كان من المجدي ذكر وسائل القداء في بناء المصطلح العربي قبل اللجوء إلى الحال في العصر الحاضر.

أولاً: بناء المصطلحات في التراث العربي

تعددت مناهج القداء في تقديم مصطلحاتهم فيما قدموها بصورة تعريف ثم يبدأ هذا التعريف بالنقل إلى أن يستقر للمفهوم لفظ موجز دال عليه. وليس هذا موضع تركيزنا؛ إذ ليس الغرض من البحث النظر في الصور التي قدم عليها المصطلح موجزاً أم مطولاً، لفظاً مختصراً أم مفهوماً أم تعريفاً. ولكننا نود الإشارة إلى المنهجيات التي اتبعوها في اختيار الألفاظ الدالة على هذه المفاهيم، وأبرز هذه المنهجيات:

1. النقل: أو ما يمكن أن يسمى (المجاز) وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ما يشير إليه هذا المصطلح بقوله: "كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"²⁹.

وقد شاعت هذه المنهجية في اختيار المصطلحات المناسبة لحمل ما يستجد من مفاهيم؛ على نحو ما نجده في تقديم "ابن جني" لمصطلح البناء ومصطلح النحو ومصطلح الفقه

²⁸ كتاب سيبويه ج1، ص12.

²⁹ أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ص 304.

ومصطلحات أخرى، فهو يقول في تقديم مصطلح البناء مثلاً: "هو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا شيء أحدث ذلك من العوامل. وكأنهم إنما سموه بناء لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً، لا تزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة والمظلة ونحو ذلك. وعلى أنه أوقع على هذا الضرب من المستعمالات المزالة من مكان إلى مكان لفظ البناء، تشبيهاً لذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً ومظلاً بالبناء من الآجر والطين والجص"³⁰.

2. الاشتقاق: وهو "نزع لفظ من لفظ - ولو مجازاً- إذا اتفقا في المعنى والحروف الأصلية وترتيبها، ليدل بالفرع على معنى أصله بزيادة مفيدة غالباً، لأجلها اختلافاً في غير الحروف الأصلية، أو في شكل الحروف الأصلية على التحقيق أو التقدير"³¹ ومن المتعارف عليه أن الاشتقاق أبرز خصائص العربية التي تتميز بها عن غيرها من اللغات، وقد كان له أثره البارز في اختيار جل ألفاظ اللغة العربية وأكثر مصطلحاتها. ومن الأمثلة على استخدام هذه المنهجية في بناء المصطلح ما نجده من إشارة الزجاجي، إلى بناء مصطلح (النحو) في (باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً) حيث يذكر أن زيادا ابن أبيه "وضع كتاباً فيه جمل العربية ثم قال لهم: انحوا هذا النحو، أي اقصوه"³².

ونظراً لأن علوم العربية كانت ذات طابع عربي قليلة التأثير بغيرها، وأن الأمة كانت تعيش أوج ازدهارها فقد كانت هاتان الوسيلتان هما الأكثر استخداماً على الرغم من شيوع منهجيات أخرى كالافتراض والنحت لكن بصورة قليلة نسبياً.

وقد سلك العلماء تحت إطار هاتين المنهجين سبلاً متعددة في اختيار الألفاظ الدالة على المفاهيم التي يسعون للتعبير عنها وأهم هذه السبل:

³⁰ الخصائص، ابن جني، محمد علي النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط4، 1990، ص 38-39.

³¹ سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، حسين والي، مجلة مجمع القاهرة، ع 2، 1935، ص 196.

³² الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، مازن المبارك، بيروت دار النفائس، ط4، 1982، ص 89.

أولاً: التخصيص: ويقصد به تخصيص لفظ من الألفاظ اللغوية العامة للدلالة على مفهوم محدد، له ارتباط بصورة معينة مع الدلالة اللغوية الأولى لهذا اللفظ، ليصبح بذلك مصطلحاً ذا دلالة خاصة، وتتضح هذه المنهجية في عدد وافر من المصطلحات، من مثل مصطلح (التعجب)، إذ كان التعجب يعني إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، ثم انتقلت هذه اللفظة لتخصص لمصطلح نحوي يدل على أسلوب من أساليب العربية في التعبير عن دهشة الإنسان واستهجانه أمراً ما.

ومن الأمثلة على ذلك مصطلح (الندبة) الذي كان يعني بكاء الميت وتعدد محاسنه، ويروي ابن سيده في مخصصه قول أبي زيد: "ندبت الميت أُنْدَبه ندباً بكيت عليه وأُنْدَبْتِه، والاسم الندبة"³³ ثم انتقلت هذه اللفظة لتصبح اصطلاحاً وخصصت للتعبير عن أسلوب نداء الميت وفق شروط محددة، وما قيل في هذين المصطلحين يمكن أن يصدق في مصطلحات أخرى، نحو البناء والنكرة والمعرفة والمنادى والاستغاثة والبدل والإضافة والعطف وغيرها.

ثانياً: التركيب الإضافي: الذي يكون فيه المضاف أحد متعلقات المضاف إليه من مثل (علامات الاسم) فالعلامات هي إحدى المتعلقات التي تتصل بالاسم وتحدده. وكذا الحال بالنسبة لـ (تتوین الاسم) و(علامات الفعل) و(علامة الحرف) وما شابهها. أو يكون المضاف إليه محدداً للمضاف نحو ضمير الغائب؛ إذ إن المضاف إليه هنا وهو الغائب يحدد المضاف (الضمير) ويميزه من غيره من الضمائر كضمير الشأن وضمير المخاطب وضمير المتكلم، وكذا الحال بالنسبة لمصطلحات أخرى (كنون النسوة) و (تتوین التتكير) و (تتوین الترتم) و(حروف العطف) وما يماثلها.

ثالثاً: تحديد المصطلح وفقاً للموقع الذي تحتله اللفظة، من مثل مصطلح (المبتدأ) الذي يشير إلى الموقع الذي يمثل الاسم المسند إليه في الجملة الاسمية وكذلك لام الابتداء، وما يماثلها.

رابعاً: تحديد المصطلح من خلال الوظيفة النحوية التي يؤديها، نحو (ما النافية)؛ إذ يشير

³³ المخصص، ابن سيده، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، السفر 13، ص 141.

المصطلح إلى ما تؤديه (ما) من وظيفة دلالية في التركيب الذي ترد فيه، ويشير مصطلح (همزة النقل) إلى الهمزة التي تسبق الفعل، وتنقله من حال اللزوم إلى حال التعدي ومن التعدي لمفعول واحد إلى التعدي لمفعولين وهكذا، ويصدق هذا الأمر على عدد من المصطلحات نحو: لا النافية للجنس ولام التوكيد وأدوات نصب المضارع وحروف التخصيص، ولام الجحود وفعلي المدح والذم وما يماثلها.

خامساً: الضمائم: ويقصد بها هنا اختيار عنصر من العناصر المتشابهة في سلوكها أما لباب من الأبواب وإلحاق أمثاله به: نحو كان وأخواتها، وكاد وأخواتها وإن وأخواتها فقد اختيرت كان مثلاً أما للباب ثم ألحقت بها الألفاظ التي تشبهها في باب واحد.

سادساً: وصف اللفظ: بعدد يجمع ما يشترك في صفة واحدة، ونجد ذلك في مصطلح الأسماء الخمسة والأفعال الخمسة.

سابعاً: الإلحاق: ويقصد به إلحاق مصطلح بآخر لوجه من وجوه الشبه بينهما ويكون ذلك بأن يتخذ مصطلح أساساً في القياس ثم يحمل عليه ما يماثلته في حكم من الأحكام نحو المحمول على المثني، والفعل المضارع، والصفة المشبهة؛ يقول المبرد في حمل جمع المذكر السالم على المثني "فإن جمعت الاسم على حد التنثية ألحقته في الرفع واواً ونوناً أما الواو فعلمة الرفع وأما النون فبدل من الحركة والتنوين اللذين كانا في الواحد. ويكون فيه في الجر والنصب ياء مكان الواو، ويستوي الجر والنصب في هذا الجمع كما استويا في التنثية لأن هذا الجمع على حد التنثية وهو الجمع الصحيح³⁴.

ثامناً: تحديد المصطلح بوصفه: وذلك بأن يوصف المصطلح بالصفة التي يتميز بها عن غيره من مثل: الإخبار التام، والإخبار الناقص، والفعل المعتل، والفعل الناقص، والتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي وما يماثلها.

تاسعاً: الجمع بين الوظيفة والصيغة: وذلك بأن يشترك أمران في تحديد المصطلح هما الوزن

³⁴ المقتضب، المبرد، ج 1، ص 5.

الصرفي والوظيفة التي يؤديها هذا البناء نحو مصطلح أفعل التفضيل إذ يشير الجزء الأول من التركيب إلى الوزن أو الصيغة التي تأتي عليها الألفاظ التي تحمل القيمة التفضيلية بين شيء وآخر. ويشير الجزء الثاني (التفضيل) إلى الوظيفة الدلالية التي تقدمها هذه الصيغة.

ولا يعني ذلك أن ما ورد ذكره في واحدة من السبل المتقدمة يقصر النظر إليها وفقها، بل ربما تداخلت في صياغة المصطلح الواحد أكثر من نظرة واحدة، وربما اجتمع على صياغته الأخذ بأكثر من سبيل، وربما عوملت الأصناف المتشابهة بطرق مختلفة، وبكفي أن ننظر إلى تقسيم الأفعال لنلاحظ هذا الأمر، إذ إن تقسيمها إلى ماض ومضارع وأمر لا يجري ضمن نسق واحد فالماضي يشير إلى الزمن، والمضارع يشير إلى ما يشبه الاسم فيه وهو قبول الإعراب، والأمر يشير إلى المعنى المتحصل من استخدامه. وهكذا نجد أن كل واحد من أنواع الفعل الثلاثة تم اختياره وفق منهجية مختلفة عن تلك التي اختير بها الفعل الآخر.

ثانياً: مصطلحاتنا في العصر الحاضر

المصطلحات في العصر الحديث لها شأن آخر غير شأنها في العصور الماضية لأسباب عدة، أبرزها اختلاف الظروف المحيطة بصياغة المصطلح، وانتقال العمل المصطلحي من حال الارتجال إلى حال التنظيم والدراسة ووضع الأطر التي تخضع لها المصطلحات، وتحديد الروابط بين اللفظ والمفهوم. وثمة أمر آخر يواجه علومنا العربية لا يقل أثره عما سبق وهو أن جل العلوم الحديثة في العربية وافدة، فأصبحت العربية متلقية لما ينتجه الآخرون بدلاً من أن تكون رافدة لها، ولهذا ظهرت مشكلات عدة مصاحبة لوضع المصطلحات العربية، وأصبحت القضية قضية حضارة لا قضية مصطلحات فقط، فتعالت الأصوات منادية بما تراه مناسباً في التعامل مع هذا السيل الجارف من المصطلحات الوافدة.

آراء العلماء في وسائل نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية

تعددت الآراء في النظر إلى هذه القضية وكتب في ذلك الأبحاث والمقالات منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين حين ظهر عدد من العلماء من مثل الشدياق واليازجي والكرملی وجرجي زيدان ويعقوب صروف. وأخذ كل واحد يقدم من الحجج ما يعزز موقفه ويؤيد رأيه.

فيذهب يعقوب صروف إلى عدم الرضا عن ترجمة بعض الأسماء التي لا مرادف لها عندنا، ويتساءل عن الفائدة من ترك كلمة إفرنجية شائعة بيننا والتفتيش عن كلمة قديمة حوشيه يحتمل أن لا يؤدي معنى اللفظية الإفرنجية ولو بعد المط³⁵ ثم يخلص إلى القول "والأحسن أن ندع الترجمة والتعريب في كل علم إلى الذين يعلمونه ويعملون به، واللغة لا تقوم بما فيها من الأسماء بل بما فيها من الحروف والتصاريف، فالتركية بقيت تركية مع أن نصف الأسماء والأفعال عربي³⁶".

مع الإقرار بضرورة أن يكون للعلماء والعاملين في العلوم المختلفة دور في اختيار مصطلحاتها فإن الشق الآخر من رأي صروف يحتاج إلى توقف، ذلك أن الأسماء لا تقل أهمية عن الحروف والتصاريف، ولا مجال لمقارنة العربية باللغات الأخرى؛ نظراً لما تمتلكه العربية من خصوصية تتميز فيها عن غيرها.

ويتجاوز الأمر ذلك عند جرجي زيدان حين ينظر إلى الألفاظ القديمة بوصفها قيوداً بقوله: "وقد آن لنا أن نخلص أقلامنا من قيود الجاهلية، ونخرجها من سجن البداوة وإلا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد، فلا ينبغي لنا احتقار كل ما لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرناً لأن لغة البوادي والخيام لا تصلح للمدن والقصور، إلا إذا ألبسناها لباس المدن"³⁷. من الواضح ما في هذه الدعوة من تجن فلا يعيب اللغة قدمها وحداثتها، ولكن الاعتماد في

³⁵ آراء الأعضاء، مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق، م2، ج8، 1922، ص 251.

³⁶ المرجع السابق.

³⁷ اللغة العربية كائن حي، جرجي زيدان، دار الهلال، ص 139.

كل ذلك على مدى قدرة الألفاظ المختارة على حمل المفهوم الذي خصص له. وفي مقابل ما تقدم نجد أنيس سلوم يذهب إلى أن في أوضاع اللغة "ما يتسع لأن يشتق منها ألفاظ لما شئنا من المعاني لأنها قابلة للتوسع إلى ما يفي بالمطالب العصرية، وإذا جاز للغربيين أسماء جديدة لم تكن في عهد أسلافهم ويحيلوا الكلمات التي يقتبسونها اليونانية واللاتينية إلى صيغ تتناسب قواعد لغاتهم، مع اشتقاقها من أصل واحد، وتقاربها في الألفاظ والمعاني؛ فلماذا لا يجوز لنا أن نحذو حذوهم فنضع أسماء لتلك المسميات أو نحيلها إلى صيغ تتناسب قواعد لغتنا، مع ما بينها وبين تلك اللغات من شدة التباين، ومع ما هي عليه من كثرة الاشتقاقات وقبول الاتساع بطرق عديدة"³⁸. ويذهب بعد ذلك إلى إمكانية سد الخلل الذي نراه في لغتنا إذا بذل العلماء جهدهم في كشف أسرارها وسلوكوا سبيل القدماء في اختيار الألفاظ المناسبة للمفاهيم. ويتعرض مارون غصن لهذه القضية داعياً إلى تطوير اللغة العربية باستخدام اللواصق، فيقول: "وما المانع أيضاً من إدخال أشد اللواصق لزوماً للغة العربية من مثل (ANTI) و (AUTO) واللاحقتين (METRE) و (GRAFE) وما المانع أيضاً وأيضاً من اقتباس لواصق (AFFIXES) من لغات أجنبية إذا صعب علينا إيجاد لواصق مقتضبة من جذور عربية"³⁹ ويدعو إلى احتذاء ما صنعتته الفرنج والأرمن حين أخذوا اللواصق من اللاتينية واليونانية وأدخلوها في لغاتهم فصارت لغاتهم قادرة على التعبير عن أدق المعاني. ومثل هذا الرأي الذي يقدمه غصن لا يمكن الأخذ به، لما يمثله ذلك من مخالفة لنواميس اللغة العربية فهي لغة اشتقاقية لا إلصاقية وتمتلك من الصيغ الاشتقاقية ما يؤهلها لتوفير الألفاظ المناسبة لمختلف المفاهيم، كما أن هذه اللغة يمكن أن توفر من الصيغ ما يمكنه من حمل الدلالات التي تشير إليها السوابق واللواصق الأجنبية فاللاحقة (er) يمكن التعبير عنها بصيغة (اسم الفاعل) واللاحقة (ing) يمكن التعبير عنها بالمصدر وهكذا...

وثمة من يدعو إلى اللجوء إلى المصطلحات الأجنبية عندما لا تسعنا اللغة العربية في

³⁸ آراء وأفكار، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م2، ج9، مرجع سابق، ص 284.

³⁹ المرجع السابق، م8، ج12، ص 751.

اختيار لفظة مطاوعة للتصريف؛ يقول عارف أبو شقرا: "إذا اقتضت الحاجة إيجاد كلمة لآلة من الآلات أو مرفق من المرافق، وحرصنا أن تكون الكلمة عربية الأصل، فإن لم تكن الكلمة العربية الجديدة مطاوعة، وكانت بلفظها الأجنبي أكثر مطاوعة كان إدخال الأجنبي المطاوع أفضل من العربي النابي العصي"⁴⁰ وبعد أن يطلق أبو شقرا هذه الدعوة نجده يحترز من فتح الباب على مصراعيه للألفاظ الأعجمية فيقول: "إنني لا أقول بأن تدخل الكلمات الأجنبية كيفما اتفق، بل إنني من المنتشدين في هذا الأمر ولكنني أرى أن نفتح الباب للكلمات التي تطاوع مقتضيات اللغة وتخضع لقواعدها"⁴¹.

ويذهب عباس حسن إلى قريب مما يدعو إليه أبو شقرا حين يدعو إلى تعريب ما تدعو إليه الحاجة القوية وتجنب التعريب المطلق، بل قصر ذلك على تعريب الأعلام وبعض المصطلحات وأسماء الأجناس وأشباهها"⁴².

ويعقد عباس حسن مقارنة بين الجهود القديمة التي قامت في تعريب العلوم الأجنبية وبين ما تواجهه الأمة في العصر الحديث، ويذهب إلى أنه من الخطأ بل الخطر أن نأخذ بأقوال العلماء القدماء في حياة تختلف عن حياتهم، وفي حاضر علمي لا يمت إلى الماضي إلا بأوهى صلاته، وأن القدماء لو واجهتهم الحضارة بهذا الزخم من المصطلحات لاجتهدوا أن يوفقوا بين أحكامهم وبين الحياة المحيطة بهم.

ويخلص إلى أن إضاعة الوقت وبذل الجهود المضنية في البحث عن كلمات عربية للكلمات الأجنبية أو لأكثرها طريقة مضنية بطيئة قاضية على اللغة بالتخلف"⁴³.

⁴⁰ التعريب والمطاوعة، عارف أبو شقرا، مجلة الآداب، السنة الرابعة، ع 8، 1956، ص 15.

⁴¹ المرجع السابق، ص 16.

⁴² انظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط2، ص 238، وما بعدها.

⁴³ انظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث، مرجع سابق، ص 242.

نلمح في ما يذهب إليه عباس حسن سعة أفق؛ حين يلفت إلى ضرورة متابعة العلوم الحديثة، وعدم جعل المصطلحات هي الغاية القصوى للجهود اللغوية؛ فييجاد المصطلحات ووضعها ما هو إلا وسيلة لتحقيق غاية أكبر هي نقل العلوم الحديثة إلى الحضارة العربية. ومع هذا لا يمكن التسليم بهذا الرأي مطلقاً؛ ذلك أن الأمر لا يعني الركون بحجة كثرة المصطلحات التي تتضمنها العلوم الوافدة، بل إن الأمر يدعو إلى تكثيف الجهود في سبيل حل هذه المشكلات، فالقضية تتضمن أبعاداً مختلفة لا بعداً واحداً، أبرزها نقل العلوم الأجنبية إلى العربية ومواكبتها، وأن يكون هذا النقل بصورة ميسرة، تضمن تواصل الدارسين مع ما يدخل اللغة من بحوث جديدة، وأن يتم كل هذا بصورة لا تسيء إلى نظام اللغة، ولا تتجاهل ما استقرت عليه اللغة عبر القرون. ولا بد من التوفيق بين هذه الأبعاد جميعاً حتى نحقق للغتنا ما يخدمها ويتناسب وواقعها.

وفي مقابل ما تقدم ظهرت الدعوات المنادية بالرجوع إلى التراث والتنقيب عن المصطلحات التراثية في مظانها ودرسها وتمحيصها للاستفادة وعدم الشعور بالانهزامية ووصم العربية بالتخلف والرجعية، وكان من أبرز الداعين إلى الرجوع إلى التراث محمد رضا الشبيبي وصبحي الصالح، وتابعهم في ذلك لطيف زيتونة ونجاة المطوع وغيرهم⁴⁴.

وثمة رأي يذهب إلى الفصل بين نوعين من المصطلحات الوافدة، فما كان أصيلاً في اللغة المنقول منها يترجم ويصاغ له لفظ عربي بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو النحت. أما الألفاظ العالمية التسمية والمستعملة في معظم لغات العالم المتحضر فيتم تعريبها بلفظها⁴⁵.

ويذهب إبراهيم مذكور إلى إمكانية التعاون بين الفصائل اللغوية ويدعو إلى الرجوع إلى اللغات السامية كالسوريانية⁴⁶ والعبرية، واستعارة ألفاظ تؤدي بها المعاني الجديدة. ولا يفوت

⁴⁴ لمتابعة ذلك انظر، المصطلح اللغوي العربي من البناء إلى التوحيد مجلة اللسان العربي، م 19، ج 1، 1982، ص 82-83.

⁴⁵ انظر منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، م 19، ج 1، 1982، ص 38.

⁴⁶ انظر: مدى حق العلماء في التصرف في اللغة، إبراهيم مذكور، مجمع القاهرة، ع 11، 1959، ص 147.

الدارس في هذا المجال أن العربية أقوى اللغات التي تشترك معها في السامية. ويشير الدكتور سمير استيتية في هذا المجال إلى استعانة تلك اللغات بالعربية يقول: "ففي العبرية يلجؤون عند نقل بعض المصطلحات العلمية من اللغات الغربية إلى العبرية إلى استعارة بعض الجذور الثلاثية العربية ثم يضيفون إليها سوابق أو لواحق من لغتهم"⁴⁷.

وكان لمجمع اللغة العربية دوره في النقاشات؛ إذ دارت بين أعضائه نقاشات حول ترجمة المصطلحات واقتراضها، فذهب عدد منهم إلى إدخال الألفاظ الأعجمية ذات الصيغة العالمية كما هي، وكان من أنصار هذا الرأي طه حسين وأحمد لطفي السيد، وعارضهم في ذلك علي توفيق شوشة الذي دعا إلى احتذاء صنيع الألمان في ترجمة المصطلحات العلمية، ودعا انطون الجميل إلى التفريق بين الألفاظ العلمية التي تدل على جوهر والألفاظ التي تدل على صفة، لأن العربية غنية بالصفات فلا بأس بترجمة الكلمات التي تدل على صفات في المصطلحية العلمية⁴⁸.

مهما يكن من أمر فلا بد من تذكر أننا عندما نتعامل مع المصطلحات اللغوية، فإننا ننتظر أن تقوم اللغة بخدمة نفسها بتوفير مصطلحاتها بصورة أفضل مما يتوقع تحقيقه في العلوم الأخرى، وإذا كانت العلوم الأخرى تسعى لإدخال المصطلحات في سبيل خدمة العلوم الوافدة وتطورها، فإن الدراسات اللغوية تقوم في الأساس لخدمة اللغة نفسها. ومن هنا نصل إلى أن ما نحتاج إليه من مصطلحات ينبغي أن يساعد في النهوض باللغة، لا أن يكون عاملاً في تخلف اللغة. بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى دعوة علماء اللغة إلى تحمل المسؤولية في مساعدة أصحاب العلوم والفنون الأخرى في إيجاد المصطلحات المناسبة لتلك العلوم.

⁴⁷ المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، سمير استيتية، د. مكان النشر، ص111.

⁴⁸ انظر في ذلك: محاضر الجلسات في الدورة الحادية عشرة، الجلسة السادسة، القاهرة، 1971، ص44-46.

ولا يعني ذلك بحال من الأحوال أن جميع الألفاظ الأعجمية سنجد لها من البدائل ما يقوم مقامها ويؤدي جميع ما تؤديه هذه الألفاظ فليس من قدرة لغة من اللغات أن تستغني بنفسها عن التأثير باللغات الأخرى، والتأثير فيها، بل المقصود مما تقدم أن تحتفظ اللغة بشخصيتها المتميزة أمام تلك اللغات، وأن لا يؤثر ذلك النزر اليسير الذي يستعصي إيجاد مقابل له على العلماء في صورتها العامة.

وسائل بناء المصطلحات في العصر الحديث

على الرغم من ظهور التنظير للمصطلحات في العصر الحديث فإن العمل المصطلحي العربي ما زال يراوح حول الجهود الفردية التي يقوم بها عدد من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم جانباً من جوانب القضية فظهر عدد من المعاجم والأبحاث التي تتضمن عدداً من المصطلحات المترجمة أو المنقولة. وعلى الرغم من بذل هؤلاء العلماء جهوداً مشكورة؛ كل في مجاله فإن هذه الجهود تحتاج إلى توحيد ووجود مظلة يعملون تحتها. وإلا فإن ما يضعه عالم في المغرب ربما لا يروق لعالم في المشرق، فبيدأ هذا الأخير رحلته من البداية بدلاً من مواصلة ما كان غيره قد بدأ به.

مما تقدم نرى أن المصطلحات العربية الحديثة ما زالت تعاني من مشكلات متعددة، شأنها في ذلك شأن كثير من القضايا الشائكة التي تعاني منها اللغة العربية والأمة بأسرها في هذا العصر.

ونتوقف هنا لنلقي نظرة على وسائل بناء المصطلح في العصر الحديث وما يواجهه هذه الوسائل من عقبات، وما يعترضها من نقص وخلل. وإذا تجاوزنا الوسائل القديمة في بناء المصطلحات من مجاز ونقل بصورها المختلفة، فإننا نجد الأصوات تتعالى منادية بضرورة مواجهة هذا السيل المنهمر من المصطلحات الوافدة، فيقترح بعض العلماء إبقاء المصطلحات الأجنبية على حالها إلى أن نختار لها مصطلحاً قادراً على حمل المفهوم، وبعضهم يقترح منهجيات للتعامل مع السوابق واللواحق في المصطلحات الأجنبية باعتبار أن هذا الأمر من شأنه

أن يبسر على المتعاملين مع المصطلحات اختيار المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية ببسر وسهولة. وثمة من يدعو إلى منهجية تتضمن إدخال الصيغ الأجنبية واختيار جذور عربية لوضعها في هذه القوالب واشتقاق مصطلحات من جذور عربية وفق قوالب أعجمية وستوقف هنا عند ثلاث من وسائل البناء الحديثة وهذه الوسائل هي:

أولاً: إدخال المصطلحات الأجنبية بصورتها الأجنبية التي وردت عليها في لغتها الأم، وكتابتها بحروف عربية، وظهرت مثل هذه الصورة مع بدايات العمل اللغوي الحديث، وظهر نتيجة ذلك مصطلحات يصعب قبولها في العربية، نحو مصطلح (كوجيتو ديكارت)⁴⁸ ومصطلح (سيركومفلكس) ومثل هذا الصنيع ربما أمكن تكلف قبوله في أسماء الأجهزة نحو (الأوسيلوغراف) و(الكيموغراف)، وفي أسماء العلماء نحو (برجشتراسر) و(بروكلمان) ولكن يصعب قبول ذلك في غيره من المصطلحات اللغوية والعلمية.

ثانياً: ترجمة جزء من التركيب المكون للمصطلح واقتراض جزء منه نحو اختيار مصطلح وحدات فونيماتية في مقابل (Phonematic Units) والجملة الفونولوجية في مقابل (Phonological Sentence) ومصطلح (المحتوى الفونيمي) في مقابل (Phonemec Content)⁴⁹.

ثالثاً: ترجمة جذر الكلمة مع إبقاء الصيغة الأجنبية على حالها نحو صوتيم وصرفيم وصنفيم، ودلاليم وهذه الطريقة هي ما يسميها يوسف غازي (طريقة التهجين) بقوله: "ولقد اعتمدنا شخصياً طريقة التهجين هذه في تعريب بعض مصطلحات كتاب فردينان دوسوسير... فترجمنا (Phoneme) المركبة من Phon الصوت ومن اللاحق eme بصوتيم و morpheme ب صرفيم و Semanteme ب دلاليم و vertueme بفرضيم"⁵⁰.

⁴⁸ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1986، ص 43.

⁴⁹ انظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1985، ص 368-369.

⁵⁰ مدخل إلى الألسنية، يوسف غازي، دمشق، منشورات العالم العربي الجامعية، ط1، 1985، ص 193.

رابعاً: اختيار مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية وكتابة المصطلحات الأجنبية إزاءها بحروف عربية، وقد يكتب المصطلح بجانب ذلك بلغته الأم، نحو ما نجده عند علي عبد الواحد وافي،⁵¹ فهي هو يتحدث عن فروع علم اللغة بقوله: "وهي الفونيتيك Phonetique أو دراسة الأصوات والديالكوتجيا Dialctologie أو دراسة اللهجات العامية والسيكولوجيا اللغوية Psychologie Linguistique أو علم النفس اللغوي؛ وهو دراسة العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية بمختلف أنواعها، وبيان أثر كل منها في الآخر، والسيمنيتيك Semantique أو دراسة اللغة من ناحية الدلالة".

وإذا أعدنا النظر في هذه الوسائل وجدنا أنها في معظمها تمثل صورة من صور التعريب للمصطلح العربي، ولا تتفق مع نزعة المحافظة على كيان اللغة العربية واستقلاليتها، وتمثل جانباً من جوانب التبعية التي تعيشها الأمة في حاضرها. وإن كانت الصورة الرابعة هي أقربها إلى روح العربية، ومرحلة يمكن تقبلها ريثما يتيسر إيجاد المصطلح العربي المناسب؛ إضافة لما تمثله هذه المرحلة من تواصل مع الحضارات الأخرى دون التكرار لهويتنا ولغتنا.

يمثل اقتراض المصطلحات بلغتها الأجنبية دون البحث عن مقابل عربي لها تقصيراً واضحاً من أولئك الذين يعتمدون هذا الأسلوب؛ إذ إنهم يريحون أنفسهم من عناء البحث بدعوى عدم قدرة العربية على توفير المقابلات المناسبة.

ولا تقل تلك الصورة التي تمزج بين العربية والأجنبية في المصطلحات خطورة عن تلك التي تعتمد على نقل المصطلحات الأجنبية؛ ذلك أن هذه الصورة الأخيرة قد تدعو الغيورين للبحث عن مقابل يستسيغه المتخصصون ويتناسب مع واقع اللغة. أما المزج بين العربية والأجنبية، فإنه قد يدخل من الضيم على اللغة ما تطيق، ويرضاه المستخدمون فلا يكلفون أنفسهم عناء البحث، ويعزفون عن مجرد التفكير ببديل يحل مكانه.

وربما كان التهجين أشدها خطورة لما يمثله من تجاهل لإمكانات العربية الحقيقية وتضليل

⁵¹ علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط9، ص 59.

للمستخدمين؛ يؤيد هذا التصور أن اللغات العالمية تشترك في معظم الأصوات، ولكنها تختلف في الصيغ والمعاني التي تحملها الصيغ، فالأصوات التي تستخدمها الإنجليزية مثلاً تستخدم العربية أغلبها. فلماذا نترك صيغ العربية وقوالبها التي أحصاها ابن القطاع فبلغت 1200 صيغة، ونبحث عن صيغ أجنبية؟ وهل عجزت هذه الكثرة الكاثرة من الصيغ العربية عن تأدية المعنى المراد، حتى نبحت عن صيغ أعجمية تدخل الضير والضرر على لغتنا.

إننا ونحن نتطلع إلى التواصل مع الحضارات الأخرى، وما تنتجه من علوم ينبغي أن لا نتكرر للغة اختارها الله جل وعلا لتكون الحامل للكتاب الذي تعهد سبحانه بحفظه بحفظها بحفظ كتابه فيها، ولا أقل من أن يسعى أبناؤها للقيام بهذه المهمة الجليلة.

قائمة المراجع

1. آراء الأعضاء، مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق، م2، ج8، 1922.
2. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988.
3. إشكالية الدقة في المصطلح العربي، ممدوح خسارة، مجلة التعريب، ع7، 1994.
4. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط4، 1982.
5. تاج العروس، م2، محمد مرتضى الزبيدي، بنغازي: دار ليبيا للنشر.
6. التعريب والمطاوعة، عارف أبو شقرا، مجلة الآداب، السنة الرابعة، ع8، 1956.
7. الحركة المعجمية بمكتب تنسيق التعريب جواد حسني سماعة مجلة اللسان العربي ع 46، 1998.
8. الخصائص، ابن جني، محمد علي النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط4، 1990.
9. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1985.
10. سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، حسين والي، مجلة مجمع القاهرة، ع 2، 1935.
11. شرح ابن عقيل ج1، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار اللغات.
12. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط9.
13. علم المصطلح، محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع القاهرة م59، 1986.
14. علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، علي القاسمي مجلة اللسان العربي، ع 30، 1988.
15. علم المصطلحات وبنوك المعطيات، ليلي المسعودي، مجلة اللسان العربي ع 28، 1987.
16. كتاب التعريفات، علي الجرجاني، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995.
17. كتاب العين ج3، الخليل بن احمد، تح مهدي المخزومي ورفيقه، العراق: دار الرشيد للنشر 1981.
18. كتاب سيبويه، تح عبد السلام هارون، ط2، 1988، القاهرة، مكتبة الخانجي.
19. اللغة العربية كائن حي، جرجي زيدان، دار الهلال.
20. اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط2.
21. محاضرات الجلسات في الدورة الحادية عشرة، الجلسة السادسة، القاهرة، 1971.
22. المخصص، ابن سيده، بيروت، المكتبة التجارية للطباعة والنشر.
23. مدخل إلى الأسنسية، يوسف غازي، دمشق، منشورات العالم العربي الجامعية، ط1، 1985.

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

24. مدى حق العلماء في التصرف في اللغة، إبراهيم منكور، مجمع القاهرة، ع 11، 1959.
25. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: المكتب الإسلامي ودار صادر.
26. المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، سمير استيتية، د. مكان النشر.
27. المصطلح اللغوي العربي من البناء إلى التوحيد مجلة اللسان العربي، م 19، ج 1، 1982.
28. المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، جواد سماعة، مجلة مجمع دمشق، م 4-75.
29. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1983.
30. المقتضب، المبرد، تح محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب.
31. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1986.
32. منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، م 19، ج 1، 1982.
33. الموسوعة الفلسفية ج 1، عبد الرحمن بدوي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
34. النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، علي القاسمي، مجلة اللسان العربي ع 1-18، 1980.
35. نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ج ساجر، ترجمة جواد سماعة، مجلة اللسان العربي ع 47، 1999.
36. Helmut Felber ,Terminology Manual , Paris, 1999

تجربة الكويت في تعريب التعليم الجامعي وتعريب العلوم

د. ممدوح خسارة
باحث لغوي

أولاً: تعريب التعليم الجامعي

يعني تعريب التعليم الجامعي أن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس والبحث في كل الكليات الجامعية وفي مختلف التخصصات، مع ما يستتبع ذلك من وضع الكتاب الجامعي المنهجي أو العلمي المرجعي بالعربية تأليفاً أو ترجمة.

والجدير بالذكر - والمؤسف - أن الجامعات العربية هي من الجامعات القليلة، بل النادرة في العالم التي ما تزال تدرس بغير لغتها الوطنية.

أما عن لغة التعليم الجامعي في الكويت فهي كما يلي:

- التعليم الجامعي التربوي الذي يستهدف تأهيل مدرسي التعليم العام للمراحل الابتدائية والثانوية معرّب تماماً من خلال كلية التربية في جامعة الكويت، وكلية التربية الأساسية في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب.
- التعليم الجامعي في كليات العلوم الانسانية والاجتماعية معرّب.
- التعليم الجامعي في كليات العلوم الأساسية والطبية والهندسية ما يزال باللغة الأجنبية، وهي المقصودة عند الحديث عن تعريب التعليم.

1. الوثائق الرسمية في التعريب

اتجهت الكويت إلى تعريب الكليات العلمية فيها، انسجماً مع دول مجلس التعاون لدول

الخليج العربية، وعملاً باتفاقية الوحدة الثقافية العربية، ومراعاة لضرورات تربية تعليمية. ويستند تعريب التعليم الجامعي في الكويت، أعني الكليات العلمية فيها، إلى مجموعة من الوثائق الرسمية، أهمها:

1. قرار المجلس الأعلى لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته السادسة وفي مسقط عام (1985)، الذي ينص على "الالتزام بتعريب التعليم العالي والجامعي بكل فروع، كلما كان ذلك ممكناً" (1).

2. توصية مجلس رؤساء ومديري جامعات ومؤسسات التعليم العالي في دول مجلس التعاون الخليجي - آذار 1986، والتي تتضمن:

آ - الالتزام بتنفيذ قرار المجلس الأعلى لدول مجلس التعاون حول تعريب التعليم العالي والجامعي بكل فروع وتخصصاته.

ب - أن تقوم الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي باقتراح برنامج زمني مخطط ومفصل للتعريب، والوسائل المناسبة لتنسيق جهود التأليف والترجمة والنشر، لخدمة تعريب التعليم العالي والجامعي في دول المجلس.

3. القرار رقم (9) لمجلس وزراء التربية والتعليم والمعارف بدول مجلس التعاون في مؤتمره الثاني عشر في الكويت - نيسان 1993 الذي نصّ على مايلي:

آ - التأكيد على أهمية ما تقوم به جامعات الدول الأعضاء في مجال التعريب، وضرورة استكمال لجان التعريب بها، وحثّ الجامعات على توفير الإمكانيات والهيكل الإداري اللازمة لتنفيذ برامج التعريب والإشراف عليها.

ب - حثّ الجامعات والجهات والمنظمات المعنية بالتعريب على تبادل المعلومات حول مآثره من جهود.

ج - حثّ اللجان المعنية بالتعريب في الجامعات والمنظمات المختلفة على استحداث دوافع وحوافز تشجيعية للمؤلفين والمترجمين، لتشجيعهم على مواصلة أعمال التعريب، ومتابعة تعريب الأعمال الحديثة في العلوم والفنون، والتوسع في تمويل عمليات الترجمة وتوسيع

نطاق توزيعها.

2. الإعداد الإداري والفني

اتخذت جامعة الكويت سلسلة من الإجراءات الإدارية والفنية تمهيداً لإنفاذ قرار التعريب، وأهمها:

أ- تشكيل (لجنة التعريب) في الجامعة، وذلك عملاً بتوصية (فريق العمل الخاص بالتعريب) في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي. وحددت مهام هذه اللجنة بما يلي:

• تمثيل الجامعة في فريق العمل الخاص بالتعريب في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي.

• متابعة ماجاء في القرارات والتوصيات ذات الصلة بقضايا التعريب.

• تشكيل لجان فرعية متخصصة في الكليات.

• إصدار نشرة باسم (التعريب)، تتناول مقالات وبحوثاً وأخباراً عن التعريب ومستلزماته ومعوقاته، وإنجازات لجان التعريب في جامعات الخليج الأخرى؛ أي الدعوة لمشروع تعريب التعليم الجامعي وترويجه. وقد صدر العدد الأول في كانون الثاني (1993).

• ترجمة الكتب التي تقترحها جامعات مجلس التعاون، أي إن نشاطها كان مخططاً له أن يغطي احتياجات جامعات الخليج من الكتاب العلمي المعرب.

ب - عقد ندوة حول قضية التعريب في جامعة الكويت سنة (1988)، خلصت إلى أن عملية التعريب طريق يجب شقه على مراحل، تبدأ بتهيئة كل المقومات والأسس في إطار خطة محدّدة المعالم.

ج - تقديم دراسات وبحوث أكاديمية تعتمد الإحصاء الدقيق والتحليل العلمي، حول قضايا التعريب وإشكالاته. ومن أبرزها:

• بحث (التعريب ومشكلة استخدام اللغة الإنكليزية وسيلة اتصال تعليمية في كلية العلوم بجامعة الكويت)، الذي نشر في المجلة التربوية - مجلة كلية التربية في الجامعة - وقد

أعدها الباحثان: د. مصباح الحاج عيسى ود. نجاة عبد العزيز المطوع. وقد خلصت الدراسة إلى توصيات أهمها:

العمل على تعريب تدريس العلوم في كلية العلوم بجامعة الكويت، يتبعها تعريب تدريس العلوم في الكليات العلمية الأخرى. وتنفيذ التعريب تدريجياً وطبقاً لبرنامج زمني. ورصد الإمكانيات والتسهيلات المادية وتشجيع أعمال الترجمة لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة (2).

• بحث (مكونات المنافع والتكاليف في مشروع تعريب الدراسات العلمية في جامعة الكويت).
للدكتور عباس علي المجرن من كلية التجارة والاقتصاد في جامعة الكويت وفيه يعترف الباحث بصعوبة الوصول إلى نتائج علمية حاسمة "لأن منافع مشروع التعريب هي في معظمها منافع تراكمية بطبيعتها، أي إنها لا تتحقق بصورة ملموسة إلا في الزمن الطويل. وكما يمكن احتساب آثار موجبة للمشروع، فإن لبعض من آثاره قيمة سالبة لا يجب إهمالها، كما قد تتحول بعض الآثار الموجبة للمشروع إلى آثار سالبة في حالة تداخل أي جانب من جوانب الكفاءة في تنفيذ المشروع" (3).

• بحث: (الآثار الطبية والنفسية لمخاطبة المرضى بغير لغتهم). من إعداد د. خالد أحمد الصالح. وقد تبين منه أن 83% من المرضى يفضلون أن يخاطبهم الطبيب بلغتهم الأم مع أن 49% منهم قادر على التفاهم باللغة الإنكليزية. كما تبين أن نحو 47% من المرضى يغادرون المستشفى بسبب افتقاد التواصل اللغوي مع الطبيب المعالج (5).

د - إقامة عدد من الندوات والتحقيقات الصحفية الرامية إلى التوعية بمشروع التعريب. أشير منها إلى تحقيقين في صحيفة (آفاق جامعية) يكاد يجمع المتحاورون فيهما على صعوبة الدراسة باللغة الأجنبية، وأن التدريس بها هو العامل الأول للتسرب من الكليات العلمية، وعزوف الطلبة عن المشاركة والنقاشات في المحاضرات، وأن اللغة الأجنبية في جامعة الكويت صارت عائقاً أمام الطموح.

والأهم من ذلك أن الأساتذة يعتذرون بأنهم يحاولون شرح المادة العلمية بالعربية لطلابهم قدر

الإمكان، وأن بوسعهم تدريسها بالعربية ولكن قوانين الجامعة - برأيهم هي التي تحول دون ذلك (6). والتدريس باللغة الأجنبية صار يدفع بالطلبة إلى دروس خصوصية لدى مدرسين عرب ليشرحوا لهم المادة العلمية بلغتهم العربية.

كما أشير إلى ندوة خاصة أقامتها ونشرتها (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) التي تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وكانت تحت عنوان: (التعريب رؤية واقعية). ومن أهم ما طرح في الندوة أن 44% من طلبة كلية العلوم يتحولون إلى كليات أخرى بسبب لغة التدريس الأجنبية (7) وأن 84%.

من طلبتها يواجهون صعوبة في استيعاب المفاهيم العلمية التي تدرس لهم بالانكليزية، وأن تعريب التعليم الجامعي ممكن، وأن العقوبات قابلة للحل وأن القرار السياسي مطلوب (8).

3. التطبيق

كانت حصيلة جهود التعريب التي بذلت على مدى ثمانية عشر عاماً متواضعة انحصرت في:

تعريب مقرر واحد في قسم الفيزياء، ومقرر واحد في قسم الجيولوجية ومقرر واحد في قسم النبات. وتمثل هذه المقررات نحو 2% من مجموع مقررات كل قسم (9).

أما مآل الإعدادات الإدارية والفنية فقد انتهت إلى:

• توقف نشرة (التعريب) التي صدرت لتكون المعبر عن حركة التعريب بعد عشرين فقط الأول في كانون الثاني 1993 والثاني في آذار 1994.

• إلحاق لجنة التعريب بالمكتب التنفيذي للجنة التأليف والترجمة والنشر. علماً بأنه لم يخصص للجنة التعريب ميزانية خاصة بها ولا لنشرتها منذ تأسيسها، وكانت تموّل من لجنة التأليف والترجمة والنشر التي أنجزت بعضاً من الكتب العلمية منها: (نظم القوى - الميكانيكا العالية للمواد - نظم التحكم الحديثة) (10).

ولكن الأمر الأدعى للتفكير والقلق هو تحويل التدريس في كلية التجارة والاقتصاد إلى اللغة

الانكليزية، بعد أن كانت معربة بنسبة 95%، الشيء الذي لا يمكن فهمه إلا على أنه نكسة في مسيرة التعريب الواهنة.

وعن هذه المحصلة قال رئيس تحرير نشرة (التعريب) في جامعة الكويت: "إن الحقيقة التي يجب أن تطرح، هي أنه وبمضي سنوات عديدة لم تُتخذ خطوات عملية في هذا الشأن، وأن ماتمّ لايتناسب مع الوقت والجهد الذي بذل في هذا المضمار" (11).
ويعلق د: إبراهيم مبارك الدوسري مدير الإدارة التعليمية في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي، على إنجازات التعريب في جامعات الخليج قائلاً: "إن ماتحقّق ليس بالشّيء الكثير، وإنّ الإنجازات لا تزال دون الطموحات بمراحل كبيرة" (12). أما أنا فقد قلت في الورقة الكويتية الخاصة برصد احتياجات التعريب في الدول العربية التي أعدتها لجامعة الكويت: "إن قضية التعريب تسير ببطء غير مقبول بحيث تبدو وكأنها تراوح في مكانها". وكان هذا قبل انتقال التدريس في كلية التجارة إلى اللغة الانكليزية. فماذا عساي أن أقول الآن؟!

ثانياً: تعريب العلوم

ما نعينه بتعريب العلوم هو نقل العلوم إلى اللغة العربية بطريق:

- وضع الكتاب العلمي ترجمة أو تأليفاً.
- تصنيف المعاجم الاصطلاحية المتخصصة.
- إصدار الدوريات العلمية باللغة العربية.

على اتفاق في الهدف مع تجربة التعريب الجامعي المتعثرة في الكويت، وعلى النقيض منها من حيث النتائج والتطبيق، قامت في الكويت تجربة غنيّة وناجحة وتستحق كل اعتزاز، هي تجربة (تعريب العلوم).

وقد نهضت بهذه التجربة الموقفة مؤسستان مهمتان هما: المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

1. المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية:

وهو مؤسسة تعريبية، أنشئ بقرار من وزراء الصحة العرب، واتخذت حكومة الكويت الخطوات التنفيذية اللازمة لتوفير المقر المؤقت له. واعتماد الميزانية الخاصة بإعداده وتجهيزه وأهم أهداف المركز:

- أ. توفير الوسائل العلمية والعملية لتعليم الطب باللغة العربية في الوطن العربي.
- ب. تعريب المصطلحات الطبية والصحية وتوحيدها.
- ج. دعم حركة التأليف باللغة العربية في مجالات العلوم الصحية وتشجيعها.
- د. تعريب المراجع والكتب الدراسية لتعليم الطب.
- هـ. إصدار مجلة للعلوم الصحية باللغة العربية...

يتبع المركز مجلس وزراء الصحة العرب، ويشرف عليه مجلس أمناء، ويديره أمين عام وأمين عام مساعد، وهم من خير المهتمين والخبراء بقضايا التعريب.

بأشر المركز نشاطاته سنة 1983 م، وظهرت أولى إصداراته سنة 1987م. وأهم إنجازاته:

- أ. إصدار أربعة وثمانين كتاباً في العلوم الطبية والصحية حتى سنة 2003 منها ستة وثلاثون مؤلفة، وثمانية وأربعون مترجمة. وقد نفذت طبعا منها لإقبال القراء عليها.
- ومن هذه الإصدارات: السرطان: أنواعه وأسبابه - دليل طريقة التصوير الشعاعي - الداء السكري لدى الطفل - التشريح السريري - أطلس أمراض العين في الدول العربية - سلسلة الموجزات الإرشادية للناسر (بلاكويل)، وقد زادت على العشرين موجزاً... من هذه الكتب ما يصلح للثقافة الصحية، ومنها معاجم مصطلحية: هي (معجم مصطلحات الطب النفسي - معجم الأشعة والأورام - معجم الاختصارات الطبية).

ب. إنشاء الشبكة العربية للمعلومات الطبية (أمين). وأهم محتوياتها:

- قاعدة بيانات المعاجم الطبية التخصصية.
- قاعدة بيانات ببلوغرافيه الانتاج الفكري الطبي في الوطن العربي.

- قاعدة بيانات دليل المؤسسات التعليمية والبحثية الصحية في الوطن العربي.
- ج. إصدار دورية فصلية تعريبية هي مجلة (تعريب الطب). التي صدر العدد الأول منها في كانون أول سنة 1997، وما تزال تتتابع، وتعد منبراً للدعوة إلى تعريب الطب، وأداة لخلق لغة علمية عربية بما تنشره من مقالات وأبحاث طبية كما تعد أداة لتثقيف وتوعية صحّية.
- د. النشاط الدعوي والتوعوي لقضية التعريب. ومن أبرز أوجهه:
 - عقد مؤتمر تعريب التعليم الطبي (الكويت - نيسان 1996).
- وقد أسهم في التعريف بإنجازات حركة التعريب في الوطن العربي، وبين آفاقها المستقبلية وطرق التصدي لمعوقاتها.
- وخلص إلى توصيات من شأنها دفع العمل التعريبي إلى الأمام ووعده بخطة عملية لإنفاذ تعريب التعليم الطبي كُلف المركز إعدادها (13).
- كما دأب المركز على إقامة ندوات مصغرة يدعو إليها المختصين والمهتمين بالتعريب، بغرض التوعية بقضية التعريب والترويج لها، منها:
 - اللغة العربية واستخدام الحاسوب في الاتصالات والتعليم - تعريب التعليم الطبي من منظور اقتصادي.
- ولمثل هذه المؤتمرات والندوات أهمية خاصة في بلد كالكويت، حيث لم تكتسب قضية التعريب من الأنصار ما يكفي لجعلها مطلباً ثقافياً ملحاً.

2. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي:

انشئت هذه المؤسسة سنة (1976م). يرأس مجلس إدارتها سمو أمير البلاد، وتسهم الشركات الوطنية فيها بنسبة 5% من أرباحها. ومع أن مهمتها الأساسية دعم الأبحاث العلمية في العلوم الأساسية والتطبيقية، من خلال منح تقدمها للباحثين، وجوائز للمتفوقين من البّاحثة والمؤلفين، ومؤتمرات وندوات علمية للمتخصصين، إلا أنها صارت من أهم مؤسسات التعريب في الوطن العربي، وذلك بالنظر إلى ما أنجزته من إصدارات علمية باللغة العربية.

بلغت إصدارات المؤسسة حتى سنة (1994) واحداً وتسعين كتاباً. وأهم الكتب ذات الصلة بتعريب العلوم:

- سبعة معاجم متخصصة في الرياضيات والكيمياء والهندسة والنبات والجيولوجية.
- ستة عشر كتاباً في الثقافة العلمية من مثل: أشعة الليزر - القمر الصناعي العربي - مبادئ الطاقة الشمسية.
- ستة كتب في الطب، منها: السرطان، تشريح العين، التقويم الجراحي للفك والأسنان.

من هذه الكتب ماهو مؤلف، ومنها ماهو مترجم، وثمة مشاريع بينها وبين غيرها من مراكز التعريب لترجمة ونشر سلسلة من الكتب العلمية الجامعية المرجعية والمنهجية. ومن إنجازات هذه المؤسسة الكبرى إصدار (مجلة العلوم) التي هي ترجمة لمجلة (سيانتيك أمريكان)، التي تترجم إلى عشر لغات عالمية. وهي "تتجاوز مجالات التنقيف العلمي للمواطن العادي والمراجع الجامعية، كما أنها تعنى بالتوجهات العلمية الحقيقية التي تفرض نفسها في التطور الحضاري لأمتنا" (14).

وتعد مجلة (العلوم) حجة في إمكان تطوير لغة عربية علمية تتسم بالسهولة والإيضاح والإيجاز، كما أنها ميدان رحب لترويج المصطلح العلمي العربي الموحد، وحافز لوضع الجديد منه تلبية لمتطلبات ترجمة البحوث المتقدمة والمتطورة.

ثالثاً: عوامل تعثر تجربة التعليم الجامعي في الكويت

لا يمكن فهم تعثر تجربة تعريب التعليم الجامعي في الكويت بمعزل عن واقع التعريب المرتبط بحالة التردد التي تشهدها حركة تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي (15)، كما تنطبق عليها - بامتياز - عوامل ضعف حركة التعريب في الوطن العربي عامة، والتي عالناها في دراسات سابقة (16). ولكنني سأشير إلى عوامل هي ألصق بالتجربة الكويتية وخصوصيتها. ومن أوضح هذه العوامل:

1. غياب القرار السياسي الملزم: لم يكن القرار الذي اتخذته المجلس الأعلى لدول مجلس

التعاون لدول الخليج العربية - على أهميته - كافياً؛ ففيه ثغرة طالما استغلها معارضو التعريب وهي: "تعريب التعليم الجامعي كلما كان ذلك ممكناً".

فهذه العبارة أعطت المجال للإداريين والمدرسين المعارضين لأن يقولوا: إن تعريب هذا المقرر أو ذاك ليس ممكناً إلى أن قالوا: إن التعريب كله غير ممكن حالياً!! إن أمثال هذه العبارات المقيّده، هي التي أحبطت تعريب التعليم الجامعي في معظم الجامعات العربية، ذلك أن كل الأنظمة الجامعية تنص على أن لغة التدريس فيها هي العربية، ولكنها تضيف عبارة - لغماً - تقول: ويجوز استثناء تدريس بعض المقررات باللغة الأجنبية إلى أن يمكن تعريبها(17).

وقد أدت أمثال هذه العبارات إلى أن يصبح الاستثناء - وهو التدريس بالأجنبية - قاعدةً، وأن تتحول القاعدة - وهي التدريس بالعربية - إلى استثناء.

2. عدم اقتناع غالبية النخبة الثقافية في الكويت بأهمية التعريب، وأثره الإيجابي على التعليم والمجتمع.

- فمن هذه النخبة من يعارضه في دخيلة نفسه، وهم الأكثرية، ومنها من يعارضه علانية وفي الصحافة أحياناً، وهم الأقلية .
- ومن هذه النخبة من يراه ضرورة حضارية وقضية أمة، ولكنه يستأخره إلى حين توفر الشروط التي يراها موضوعية لإنجاحه، ويعدّه مشروعاً مؤجلاً، وهذه الشريحة تمثل غالبية النخبة المثقفة في الكويت.

وقد تباحثت مع رجال منهم ذوي علم وفضل، وشغلوا مناصب قيادية كانوا يستطيعون من خلالها دفع مشروع التعريب خطوة إلى الأمام، ولكنهم لم يفعلوا، مع أن لهم إسهامات علمية مشكورة في حركة تعريب العلوم في الكويت. ويرى هذا الفريق "أن التعريب يتطلب إعداداً مسبقاً لم يجر تفكيرٌ جدِّي فيه حتى الآن" (18).

- ولكن هذا لايعني افتقاد شريحة من هذه النخبة مؤمنة بالتعريب الفوري دون ريث أو تأخير. ومعظم أفراد هذه الشريحة هم ممن درس قضية التعريب بعمق، ومارسه إلى حد كبير في

محاضراته وتدرسه، وتيقن أن ما يدعى من ضرورة الإعداد المسبق أو صعوبات التطبيق، أو محاذير التعريب، هي مقولات مبالغ فيها مردّها إلى غموضٍ في فهم مسألة التعريب وأهميتها وخطورتها أولاً، ثم إلى غياب القرار السياسي الملزم ثانياً (19) .

3. إخفاق أنصار التعريب - ونحن منهم - في الدعوة له وجعله رأياً عاماً ومطلباً ثقافياً جماعياً. فلو نجح أنصار التعريب في خلق رأي عام مؤيد للتعريب، لانتقل أثر هذا الرأي العام بشكل أو بآخر إلى دائرة أصحاب القرار السياسي، ولصدر القرار الملزم بذلك. والواقع أن هذه أشق وأصعب مهام دعاة التعريب؛ ذلك لأن القرار السياسي إنما يأتي ليلبي مطالب شريحة أو فئة ضاغطة من أبناء المجتمع، فعلى أنصار التعريب أن ينشطوا بين النخب الثقافية والسياسية والاجتماعية، لخلق ذلك الرأي العام الضاغط. وإن هامش الحرية المعقول الذي ينعم به الشعب العربي في الكويت يُسهّل مثل هذه المهمة، لاسيما أن القيادة العليا للبلاد تؤيد التعريب أصلاً، بدليل أن مؤتمر تعريب التعليم الطبي في الكويت عقد سنة (1996) برعاية سمو ولي عهد الكويت.

وأذكر أنه أثّر موضوع التعريب في (ديوانية) بيت فضل وعلم، يؤمها حضور وافر من العلماء والأكاديميين وكبار الإداريين، فلم يؤيد التعريب إلا قلة. وبقدر ما ألمني هذا الموقف اقنعني بتقصيرنا نحن - المهتمين بالتعريب - حيال هذه القضية، وكل ما أخشاه أن تكون أسوأ مدافعين عن أعدل قضية.

لقد حاول نفر طيب من أنصار التعريب أن ينشئوا جمعية تعنى بشؤون اللغة والتعريب، فتكون أداة نشاط تعريبي منظم؛ ولكنهم لم يفلحوا بالحصول على الموافقة، وكان بمقدور مثل هذه الجمعية أن تنهض بدور توعية فعال في هذا المجال، أسوة بجمعية أنصار اللسان العربي في مصر.

إن مشروعاً حضارياً بحجم مشروع التعريب وأهميته لا ينجحه قرار سياسي وحده مهما كان ملزماً، ولا قناعة نخبة ثقافية أياً كانت فاعليتها، ولا مؤسسات علمية ولغوية أياً كانت كفاءتها، مالم يصبح رأياً عاماً، ورغبة وطنية وقومية جامعة، وإرادة شعبية واعية.

4. افتقاد القناعة بالتعريب والحماسة له بين الجهات الإدارية والتربسية في الكليات العلمية (20).

قد تتعلل بعض الكليات بالنسبة العالية للأساتذة غير العرب فيها كما في كلية الطب التي تبلغ نسبتهم فيها 52%، ولكن ماذا تقول كليات أخرى ككلية الهندسة والبتترول التي لاتزيد نسبة الأساتذة غير العرب فيها على 6%، وكلية العلوم التي لاتزيد نسبتهم فيها على 17% ؟ (21). مع أن مدرسة طب القصر العيني قررت التعريب عندما كان كل أساتذتها من غير العرب، بل إن بعض هؤلاء الأجانب تعلم العربية وصار يؤلف بها (22).

ولم يقف الأمر عند افتقاد القناعة لدى هذه الجهات، بل تعداه إلى العزوف عن التعاطي مع مشروع التعريب بأي شكل، وهو أمر مؤسف تشي به مواقف ذات دلالة منها:

- عدم الإفادة من إصدارات المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية في الكويت. إن إصدارات هذا المركز استطاعت أن تجتاز آلاف الأميال لتصل إلى كليات طب في أقاصي الوطن العربي، ولكنها لم تستطع اجتياز الأمتار القليلة التي تفصل المركز عن كلية الطب التي يضمها معه حي واحد في الكويت.

- الاعتذار عن قبول كتب طبية معربة ترجمة أو تأليفاً، ولو على سبيل الهدية وللعرض فقط.
- التغيب عن مظاهر النشاط التعريبي كالمؤتمرات والندوات. ومما يجدر ذكره أن مؤتمراً لتعريب التعليم الطبي عقد في الكويت في نيسان 1996 وحظي برعاية كريمة من قيادة البلد، ومع ذلك لم يحضره أي من أساتذة كلية الطب، ولامن القيادات العلمية والإدارية في الجامعة، في حين لم يغادر وزيران عريان للصحة قاعة المؤتمر طيلة ثلاثة أيام، ولم يألوا جهداً في تقديم مداخلتهما وتعليقاتهما القيمة. فكان المؤتمر عرساً تغيب عنه أهله (23).

- فقر المكتبات الجامعية - على غناها - بالكتب العلمية الصادرة بالعربية المترجم منها والمؤلف. وندرت المعاجم العلمية المتخصصة فيها وقد جرت محاولة لإقامة صلة بين عمادة المكتبات ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، لتزويدها بالمعاجم المصطلحية الموحدة، ومحاولة أخرى للتواصل مع المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق لتزويدها

بإصداراته من الكتب العلمية المعربة. ولكن دون جدوى تذكر.

- ضعف التواصل مع مؤسسات التعريب في الوطن العربي سواء بحضور مؤتمراتها واجتماعاتها وتقديم البحوث والدراسات إليها، أو باقتناء إصداراتها المعربة.

5. انعكاس حالة الإحباط والعجز في العمل الثقافي العربي المشترك على قضية التعريب سلباً. إذ لا يعدو أن يكون التعريب في نظر بعضهم جزءاً من حالة التخلف العربي، وإلا نوعاً من أنواع المشاريع الثقافية العربية المشتركة التي لم يحالفها النجاح بدءاً من الاتفاقية الثقافية العربية، ومروراً بالخطة العربية الشاملة للثقافة، وانتهاءً بمشروع توحيد كتابة الأرقام العربية وأسماء الشهور... إن الانحياز إلى التعريب في نظر ذلك البعض هو انحياز إلى الاتجاه المحبط في حركة الواقع الثقافي.

6. انتشار المدارس الأجنبية: تنتشر المدارس الأجنبية في الكويت انتشاراً واسعاً، وهذه المدارس تعلم باللغة الإنكليزية غالباً، ويتسابق الميسورون من أبناء البلد إلى تسجيل أبنائهم في تلك المدارس بحجة تدني مستويات التعليم الحكومي. فيتخرج طلاب الثانوية العامة فيها، وهم يعانون ضعفاً مريعاً في اللغة العربية يجعل من اجتياز مقرر اللغة العربية لغير المختصين في الجامعة أمراً في غاية الصعوبة لديهم، بله القدرة على متابعة التعليم الجامعي المعرب؛ والأغرب والأطرف أنهم يجعلون من دراستهم في المدارس الأجنبية مسوغاً لإعراضهم عن مقرر اللغة العربية، ولمطالبتهم بمعاملة خاصة تمكنهم من اجتياز ذلك المقرر على بساطته. ومن الطبيعي أن يتجه هؤلاء إلى إتمام دراستهم باللغة الإنكليزية، وأن يكونوا مع ذويهم - وهم غالباً من المتنفذين - ضد تعريب التعليم الجامعي، وأن يشكلوا رأياً مضاداً ضاعطاً في وجه أي قرار جدي للتعريب. بل قد يبلغ بهم الأمر إلى المطالبة بكليات أدبية تدرس باللغة الأجنبية.

وهذه العقبة ليست خاصة بالكويت - وإن كانت في الكويت أظهر منها في غيرها - فهي تواجهها في كل بلد انتشرت فيه (تقليعة) المدارس الأجنبية. فبدلاً من المبادرة إلى إصلاح التعليم الحكومي ورفع مستوياته، يُهرب إلى حلول فردية تتمثل في المدرسة الأجنبية. وهي مشكلة سوف يكون لها عقابيل اجتماعية وفكرية سيئة، لعل من أهمها مما يخص بحثنا هو تدني مستوى اللغة

العربية الأم عند الطالب؛ فقد أفادت رسالة أكاديمية حول تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الأم، أن تعليم اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية ذو أثر سالب على تعلم اللغة الأم ومدعاة لإضعافها (24).

7. بعض وجوه القصور في تجربة التعريب السورية وغيرها: فمما يتنزع به معارضو التعريب أن التجربة السورية في التعريب لم تدرس بعد موضوعياً لمعرفة مدى نجاحها أو مواطن ضعفها، وكنا نرد بسؤال مقابل: لماذا لم تدرسوا التجربة السورية، وهي قد تجاوزت كونها تجربة إلى كونها واقعاً تعليمياً ومنهجاً ثابتاً في الثقافة العربية المعاصرة. كما كنا نردّد دائماً بأن التعريب حجة على التجربة السورية وليس العكس؛ فإذا كان ثمة قصور أو أخطاء في هذه التجربة - وهو حاصل لامحالة - فليس الحل هو النكوص عن التعريب ومعارضته أو تأجيله، بل هو في تجنب الخطأ والقصور الذي يُكتشف أن التجربة السورية وقعت فيه. لأن التعريب قضية عربية عامة وهي ملك للعرب جميعاً، وعليهم أن يسهموا في دراستها وتصويبها، وحبذا لو قُدِّمت تجربة تعريبية أفضل وأنجع في جامعات عربية لكي تفيد منها الجامعات السورية أيضاً.

ويزداد الطين بلة عندما يتصدى لنقد التجربة السورية باحثون سوريون، إذ سرعان ما يصدّق المتحفظون والمتردّدون هذا النقد ولسان حالهم يقول:

"وشهد شاهدٌ من أهلها" (25)؛ كأن تقول باحثة: "لقد ارتبطت عملية التعريب الجامعي منذ البداية بخطاب قومي وحدوي يُعلي الشأن القومي على كل ما عداه، ولا يأبه بالجانب الأكاديمي لامن قريب ولا من بعيد (26). فإن أمثال هذه العبارة توحى بأن قرار التعريب في سورية قرار سياسي لا يعطي للرأي العلمي الموضوعي ولا لإرادة الهيئة التدريسية أيّة قيمة. مع أن الواقع يخالف مذهبته إليه الباحثة ذلك أن التعريب في سورية كان بتلاقي الإرادتين السياسية القومية والأكاديمية الموضوعية بل لقد كان القرار السياسي غاية في الموضوعية والعلمية أيضاً" فقد اشترط الملك فيصل عند افتتاح معهد الطب أن يكون التدريس بالعربية وإلا فلا لزوم للمعهد، ويُفضّل إرسال الطلاب إلى الغرب" (27). ولهذا تلاقى وتوافق تماماً مع الرأي الأكاديمي الذي مثله أساتذة المعهد في ذلك الحين، الذين كانوا رواد التعريب لعصرهم، وهم الأطباء جميل الخاني

وأحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر والصيدلي عبد الوهاب القنواطي والكيميائي صلاح الدين الكواكبي (28) الذين لم يرتضوا أن يعلموا بغير العربية مع إتقانهم للتركية والفرنسية، وبذلوا الجهد والوسع لتطوير لغتهم العربية وتطويرها للكتابة العلمية وإغنائها بالمصطلحات، كل في ميدان علمه. ولو لم يلتق القراران السياسي والأكاديمي ويتوافقا لما نجح التعريب واستمر إلى يومنا هذا ليصبح واقعاً ثقافياً حضارياً متميزاً. والدليل على أن القرار السياسي وحده لا يخلق تعريباً، أن زعيماً عربياً أكثر تأثيراً وأنفذ حُكماً من غيره وهو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، اتخذ قراراً لتعريب التعليم الجامعي في مصر سنة 1959 أيام الوحدة، لكنه لم يستطيع إنفاذه، لسبب بسيط، وهوان القرار السياسي لم يلتق والقرار الأكاديمي الجامعي، إذ تعارض ذلك القرار مع (البيروقراطية الأكاديمية) التي ماطلت في التطبيق إلى أن وقع الانفصال وذهب القرار في عقابيله.

ومما يتخذه المترددون علة للتريث والتأجيل، ماتعانيه بعض تجارب التعريب في الوطن العربي من معوقات كما في تجربة الجزائر. وكما في تجربة تونس التي انتقلت إلى التعليم بالانكليزية بدل الفرنسية متجاوزة التعريب الذي أبعد بقرار سياسي.

7. ضمور المشاعر القومية جراء العجز العربي العام، والتشرذم السياسي، وتهلhel النظام الإقليمي العربي، وكبت التوجهات الديمقراطية، ثم الغزو العراقي الآثم واللاقومي لدولة الكويت. ولا يبعد في مثل هذه الأجواء أن ينكفي مشروع قومي كالتعريب لصالح مشاريع أكثر التصاقاً بالمحلية والقطرية، لا في الكويت وحدها، بل وفي معظم بلدان الوطن العربي. إن الثقافة العربية تسدد فواتير إخفاق السياسة العربية.

وبعد: فإن مسار حركة التعريب في الوطن العربي يمثل صورة عن واقع أمة لم توفق في إنجاز أي من مشاريعها الحضارية أو مقارنته بشكل فعال. بدءاً من الوحدة العربية وانتهاء بالنقد العلمي والتقني. ومازلنا في مطلع القرن الحادي والعشرين نتماهى في ثنائيات مطلع عصر النهضة، من نحو العروبة أو الاسلام، الأصالة أو المعاصرة، التقليد أو التجديد، التعريب أو التعريب وكان هذه الثنائيات لا يمكن أن تتلاقى لقاءً إبداعياً لا يفرط بطرف من أطراف هذه

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

التنائبات، بل يولّف بينها بتوازن موضوعي ويوظفها في خدمة مشروع عربي حضاري تنموي واعد، وسيلتنا إليه وغايتنا منه، الإنسان العربي الحر المبدع. وفي غياب هذا الانسان من العبث الحديث عن أي إسهام عربي في الحضارة المعاصرة.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

التوثيق

- (1) د. ابراهيم مبارك الدوسري - العمل المشترك في مجال التعريب - نشرة (التعريب) العدد (1) كانون أول 1993 - ص 12.
- (2) د. مصباح الحاج عيسى ود. نجاه عبد العزيز المطوع - التعريب وشكله استخدام اللغة الانكليزية... - المجلة التربوية - العدد 15 - ص: 90.
- (3) د. عباس علي المجرن - مكونات المنافع والتكاليف في مشروع تعريب الدراسات العلمية في جامعة الكويت - مجلة اتحاد الجامعات العربية ص: 51.
- (4) (5) - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996 - الجلسة العلمية الخامسة 1996/9/4.
- (6) ينظر صحيفة (أفاق جامعية) عدد 1998/10/25 وعدد 1999/1/31.
- (7) المصدر: جامعة الكويت - إدارة التسجيل - قسم متطلبات التخرج - نماذج تغيير الكلية والتخصص الرئيسي - تاريخ 2/6/1985 ينظر المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد (62) ص 162.
- (8) ينظر المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد (62) ربيع 1998 ص 154-187. وشارك في الندوة د. عدنان حموي من قسم الرياضيات ورئيس تحرير مجلة العلوم - د. مصطفى معرني الاستاذ بقسم الفيزياء، ود. نجاه المطوع من قسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية ود. محمد حلمي هليل رئيس قسم اللغة الانكليزية ود. ممدوح خسارة من قسم اللغة العربية.
- (9) استبانة خريطة التعريب في الوطن العربي - الورقة الكويتية المقدمة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1995) إعداد د. ممدوح خسارة.
- (10) من وثائق المكتب التنفيذي للجنة التأليف والترجمة والنشر (دون رقم وتاريخ)
- (11) نشرة (التعريب) - العدد (1) - كانون ثان 1993 - الافتتاحية.
- (12) المصدر السابق نفسه ص 14.
- (13) د. ممدوح خسارة - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996 - مجلة مجمع دمشق 159:1/72.
- (14) مجلة العلوم - مجلد 11 عدد 12 - ص 1.
- (15) د. ابراهيم مبارك الدوسري - العمل المشترك في مجال التعريب - نشرة (التعريب) العدد (1) ص 15.
- (16) ينظر: د. ممدوح خسارة: التعريب مؤسساته ووسائله: 136-140. وينظر: د. ممدوح خسارة: التعريب بين القرارات والتوصيات - مجلة التعريب العدد 13 ص 11.
- (17) د. محمود حافظ - قضية تعريب التعليم العالي في مصر - مجلة مجمع القاهرة ج 162: 56.
- (18) من حديث مع رئيس لجنة التعريب في جامعة الكويت في 1995/3/13.

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- (19) د. يعقوب الشراح - المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية - ندوة للمركز في 1995/11/8.
- (20) من حديث رئيس لجنة التعريب في جامعة الكويت في 1995/3/13.
- (21) د. عباس علي المجرن - مكونات المنافع والتكاليف في مشروع تعريب الدراسات العلمية في جامعة الكويت - مجلة اتحاد الجامعات العربية ص: 49.
- (22) د. عدنان الخطيب - النهضة العربية في العصر الحديث - مجلة مجمع دمشق 62:4/24.
- (23) د. ممدوح خسارة - مؤتمر تعريب التعليم الطبي في الكويت مجلة مجمع دمشق 177:1/27.
- (24) د. محمد دهيم الظفيري - تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الأم - ندوة المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت 1999/11/22.
- (25) يوسف /26.
- (26) د. تغريد نصر أصفر - تعريب التعليم الجامعي - أضواء على تجربة - مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن والعشرون ص 209.
- (27) د. شاكر الفحام - مقابلة في الفضائية السورية في 2000/7/19.
- (28) د. حسني سيح - تعريب علوم الطب - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 657: 4/6.
- (29) د. محمود حافظ - قضية تعريب التعليم العالي في مصر - مجلة مجمع القاهرة العدد 56 ص 163.

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

بحوث

معربة أو مترجمة

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

نماذج التعليم وطرائق التفكير*

ترجمة: أ. شفيق ياسين
باحث تربوي - جامعة دمشق

خلاصة

يعبر الأطفال عن تفكيرهم الرياضي من خلال استخدام الأعداد لتمثيل الكميات أو حل المسائل أو تشكيل المجموعات. وتتفاوت الطرائق التي يتبعونها من حيث درجة التعقيد والدراية، سواء عندما يطورون فهمهم للعدد أو عندما يتلقون التعليم في المدرسة ويتعلمون التمثيل الرياضي التقليدي.

وقد أعدت هذه الدراسة لاختبار ما يلي:

أ. تطور معنى العدد وتمثيله من قبل أطفال الصف الثاني في النظام التعليمي التقليدي والتلفيفي¹ والبنائي².

* هذه ترجمة لبحث قُدم في الجمعية الدولية للتنمية السلوكية (بيرن - سويسرا) في تموز 1998. (وهو خلاصة رسالة للباحثة: آن غوردو غير منشورة لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في نمو الطفل، جامعة توفتس - أيار 1998. وموضوعها بناء مفهوم العدد عند طلاب الصفوف التقليدية والبنائية والتلفيفية.

¹ التلفيفي (Mixed): لغة لفقّ بين الثوبين لأُم بينهما بالخياطة لفقّ بين الطريقتين يعني أخذ شيئاً من هذه وشيئاً من تلك واستحدث طريقة جديدة.

² البنائية (constructivist) يجري التركيز في هذه الطريقة على المفاهيم، وربط المادة المتعلّمة بالقاعدة المعرفية لدى الطفل.

ب. الكيفية التي تؤثر بها عمليات التدريس المختلفة على الطرائق التي يتعامل بها الأطفال في العمليات الحسابية.

وتبين هذه الدراسة التي صممت لاكتشاف مفهوم العدد وتمثيله، أن الأطفال في الصفوف البنائية استخدموا تمثيلات مختلفة ذات طيف واسع للتعبير عن أفكارهم الرياضية. وقد تضمنت الطرائق التي اتبعوها، التسجيل اللفظي للعمليات الحسابية وابتكار أنساق رقمية (أي أعداد تُفرق إلى مكوناتها ثم يعاد تجميعها بأشكال مختلفة، مثل $9 + 1 + 5 + 40 + 20 = 26 + 49$)، بالإضافة إلى استخدام الأعداد السالبة. وعندما طلب من الأطفال أن يجرؤا عمليات حسابية في الجمع والطرح كتبت بصورة شاقولية أو أفقية، فإن أطفال الصفوف التقليدية كانوا يطبقون دائماً الخوارزميات التي تعلموها في المدرسة. وبعض هؤلاء الأطفال وجدوا أن من الضروري أن يعيدوا كتابة المسائل المكتوبة أفقياً بصورة شاقولية. أما أطفال الصفوف البنائية الذين لم يتعلموا خوارزميات الجمع والطرح، فقد اعتمدوا، عوضاً عن ذلك، على مفهومهم الشخصي للعدد، وقد حصلوا على أعلى عدد من الأجوبة الصحيحة أثناء استخدامهم استراتيجيات مختلفة، كانت من وحي فهمهم للعلاقات العددية وخواص نظام الكسور العشرية.

مقدمة

العدد هو الأداة المركزية للرياضيات الأولية، وبصرف النظر عن النظريات المطبقة في التدريس، فإن منهاج الرياضيات التقليدي يركز على اكتساب المهارات العددية مثل معرفة مرتبة العدد، والعد تصاعدياً، وحقائق الجمع والطرح، والقيمة المنزلية وخوارزميات الجمع والطرح. في المناهج البنائية للرياضيات، المبنية على نظرية بياجيه في نمو الطفل³، يعطي لنكون مفهوم

³ جان بياجيه (1896-1980) عالم نفس سويسري. أسس مدرسة علمية في مجال دراسة تطور الطفل العقلي، حاز جائزة علم النفس الأمريكي عام 1969. وقد أمكن الاستفادة من نظريته على نطاق واسع في تربية الأطفال، كما كان لأرائه أثر كبير في إعداد مناهج في المرحلة الابتدائية تعتمد على الرسم البياني والصور والأشياء المحسوسة. تقوم نظرية بياجيه على الفرضيات الآتية:

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

العدد لدى الأطفال الأولية في الاهتمام. كما أن تطوير مفهوم العدد من قبل الأطفال مبني على خبرات ذات معنى⁴، ويتضمن هذا حل مسائل حياتية واقعية. بالإضافة إلى مسائل رياضية غير نمطية.

الجدول رقم 1: نظرة في بيئات مدرسية

الصفوف البنائية	الصفوف التقليدية
يُقدّم المنهاج من الكلي إلى الجزئي مع التأكيد على المفاهيم الرئيسية	يُقدّم المنهاج من الجزئي إلى الكلي مع التأكيد على المهارات الأساسية
متابعة أسئلة الطلاب ذات قيمة عالية	الالتزام الدقيق بمنهاج ثابت يمثل قيمة عالية في هذه الصفوف
أنشطة المنهاج تعتمد على المصادر الأولية للمعطيات والمواد المعالجة	أنشطة المنهاج تعتمد بشكل أساسي على الكتب والدفاتر المدرسية
ينظر إلى الطلاب كمفكرين يحملون أفكاراً ناشئة عن العالم	ينظر إلى الطلاب كصفائح بيضاء تطبع عليها المعلومات من قبل المدرس
يتبع المدرسون بوجه عام طرائق تفاعلية ويقومون بدور الوسيط بين البيئة والطلاب	يتبع المدرسون بوجه عام طرائق إلقائية، يعرضون فيها المعلومات على الطلاب

Brooks and Books. 1993, p.17

وقد أجريت مقارنة بين الطريقتين تبين خصائص كل منهما كما هو موضح في (الجدول رقم 1). أما النموذج الثالث للصف المدرسي أي النموذج التلفيقي والذي يمكن أن يوصف بأنه مزيج

1. التعلم هو عملية إداع لبنى معرفية جديدة، وكل بنية تنمو انطلاقاً من بنية سابقة بطريقة جدلية.
2. المعرفة مرتبطة دوماً بالفعل (الممارسة)، فالفعل يؤدي إلى التعلم وهو أداة الكشف والبناء والوسيلة للتغيير والتصحيح.
3. التوازن. إن تكيف الفرد مع محيطه يتم عبر توازن بين عمليتي التمثل والمواءمة، أي بين العمليات العقلية والظروف المحيطة بها. (المترجم).
- 4 المقصود بالعبارة "ذات معنى" أن المتعلم يقوم بربط المادة المتعلمة بطريقة منتظمة وغير عشوائية بما يعرفه سابقاً (أوزيل 1978) المترجم.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

من النموذجين الآخرين فقد طبق هو أيضاً في الحقل التربوي. ويستخدم المدرسون في هذا النموذج المناهج البنائية، علماً بأنهم يدرسون الرياضيات بالطرائق التقليدية. أما الهدف من هذه الدراسة فهو:

أ. تقييم تطور مفهوم العدد وتمثيله من قبل أطفال الصف الثاني وفق الطرائق الثلاث: التقليدية، والتلفيقية، والبنائية.

ب. معرفة الكيفية التي تؤثر بها طرائق التدريس المختلفة على أداء الأطفال للتمارين الحسابية.

العمل الميداني

لقد شارك في هذه الدراسة ثلاثون طفلاً، عشرة أطفال من كل نوع من الصفوف الثلاثة. وقد أجريت مقابلات فردية للأطفال، طُلب إليهم فيها أن يقوموا بمهمات مدرسية شفوية وكتابية، تضمنت عمليات جمع وطرح، وتألّف عدد من عدة أعداد، وأسئلة تتعلق بخواص النظام العشري. وقد أجريت المقابلات بزمان مفتوح وسجلت على أشرطة.

الجدول رقم 2: مهمات حسابية تتطلب شروحاً شفوية أو كتابية

المهمة المطلوبة في المقابلة	الأنشطة التي يقوم بها الطفل	قدرة الطفل الحسابية
ترتيب أحد أيام السنة (نموذج الصف البنائي)	يطلب من الطفل أن يختار عدداً ما، ويكتب خمس جمل عددية من أي نوع يريده، بحيث يكون مجموع الأعداد الواردة فيها يساوي العدد المفروض.	تركيب عدد من عدة أعداد • القدرة على تفريق الأعداد ثم جمع مكوناتها للحصول على عدد معين • العلاقات العددية. مثلاً (59 = 59 + 59 - 59)
ورقة عمل لجمع أعداد ذات رقمين (نموذج من الصفوف التقليدية)	يطلب من الطفل حل 12 عملية جمع أعداد برقمين و12 مسألة لطرح رقمين تتضمن مسائل تحوي عمليات إعادة تجميع أو لا تحوي. عشر مسائل من كل نمط في الشكل العمودي واثنان بالشكل الأفقي	عمليات الجمع والطرح • القدرة على الحساب • استراتيجيات الحساب

وقد اقتصر هذا البحث على تحليل استجابات الأطفال في اثنتين من هذه المهمات الأولى: ترتيب أحد أيام السنة، والثانية ورقة عمل لجمع أعداد ذات رقمين. وقد جرى توصيف هذه المهمات في (الجدول رقم 2).

النتائج

لقد دونت استجابات الأطفال وفق طريقة الخطأ والصواب، كما سجلت الاستجابات الشفهية والكتابية وفق نموذج استراتيجي الحل المستخدم.

وقد طبقت اختبارات إحصائية غير وسيطية (اختبار كروسكال - واليس ومان وتيني U) لتقويم أهمية الفروق⁵.

ترتيب أحد أيام السنة:

- لقد أنجز أطفال في الصفوف البنائية والتلفيقية مهماتهم بصورة أفضل مما أنجز أقرانهم في الصفوف التقليدية.
- لقد ابتكر أطفال الصفوف البنائية جملاً عديدة صحيحة أكثر مما فعل أطفال الصفوف التقليدية بفروق ذات أهمية حيث بلغت P القيمة (0.0015) P⁶.
- معظم الأطفال في الصفوف التقليدية استخدموا عملية الجمع فقط، كما اقتصر جميعهم على عملية واحدة فقط استخدموا فيها حدين، بينما استخدم أطفال الصفوف التلفيقية والبنائية غالباً عدة حدود وأكثر من عملية واحدة.

⁵ نقول إحصائياً إن الفرق ذو أهمية، إذا كان هذا الفرق من الكبر بحيث لا يمكن رده لمجرد المصادفة، أي إن إحدى الزمرتين تتفوق على الأخرى حقيقة لا ظاهراً. (المترجم).

⁶ يقيس العامل (P) احتمال حدوث مثل هذا الفرق مصادفة بافتراض تماثل الزمرتين. فالقيمة (P = 0.0015) تعني أن هذا الفرق يمكن أن يقع 15 مرة فقط من أصل 10000 حالة. ونظراً لضعف هذا الاحتمال، نستنتج تفوق إحدى الزمرتين على الأخرى (المترجم).

150	12
$50 \times 3 = 150$	$6 + 6 = 12$
$70 + 60 + 20 = 150$	$5 + 7 = 12$
$500 - 400 + 50 = 150$	$4 + 8 = 12$
$50 \times 2 + 20 + 30 = 150$	$10 + 2 = 12$
	$9 + 4 = 12$

الشكل 1: مثال على ترتيب أحد أيام السنة في إحدى المجموعات التقليدية
الشكل 2: مثال على ترتيب أحد أيام السنة في إحدى المجموعات البنائية

مسائل على عملية جمع أعداد ذات رقمين

- جميع الزمر حلوا بنجاح عشر مسائل جمع على الأقل من أصل اثنتي عشرة ولا توجد فروق ذات أهمية بين الزمر المختلفة في عملية الجمع، حتى عندما كانت إعادة التجميع ضرورية.
- إن خوارزميات الجمع المتعارفة التي تدرس في مدارس الولايات المتحدة شكلت 93.6% من استراتيجيات الجمع المستخدمة من قبل زمر الصفوف التقليدية. و60% من الاستراتيجيات المستخدمة من قبل أطفال الصفوف التلقيفية. أما في زمر الصفوف البنائية فإن خوارزميات الجمع والطرح المتعارفة⁷ قد استغرقت 6% فقط من زمن الاختبار.
- استخدم أطفال الزمرة التقليدية استراتيجيتين مختلفتين فقط، بينما استخدم أطفال الصفوف البنائية سبع استراتيجيات مختلفة وقد أكسبت هذه الاستراتيجيات الأطفال طرائق مختلفة للتفكير في كيفية تجميع مكونات الأعداد.

وبين الشكلا 3 و 4 مثلاً عن مهمة كتابية وشروح لفظية مرافقة لعملية جمع.

⁷ المتعارفة (standard).

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

استراتيجيات الجمع

$$\begin{array}{r} 1 \\ 34 \\ + 29 \\ \hline 63 \end{array}$$

المعلم: هل يمكنك أن تخبرني كيف قمت بذلك؟

الطفل: أنا فقط....أخذت 9 أولاً ثم.... نسيت.

المعلم: لقد أضفت 9 إلى 4 هل هذا صحيح؟

الطفل: نعم

المعلم: ماذا كان المجموع؟

الطفل: كان 13

المعلم: أوه...هذا صحيح.

الطفل: ثم وضعت الرقم 1 في الأعلى، وجمعت 3 إلى 1 فكان الجواب 4 ثم جمعت 4 إلى 2 فأصبح الجواب 6

المعلم: عمل عظيم. ماذا تعتقد أن هذا الواحد الضئيل يعني؟ ومن أين جاء هذا الواحد؟

الطالب: من الثلاث عشرة

الشكل 3: طفل من الصف التقليدي يستخدم الخوارزميات المتعارفة

$$\begin{array}{r} 34 \\ + 29 \\ \hline 63 \end{array}$$

الطفل: لا يمكنني أن أفعل الشيء ذاته في هذه المسائل (أي أن اتبع الطريقة ذاتها كما في المسألة السابقة)

المعلم: تستطيع أن تكتب بالقدر الذي تريد. وإذا أردت ورقاً إضافياً فلدي الكثير أيضاً.

الطفل: لا شكراً، أنا فقط - الثلاثون، ثم، أنا عادة أضيف الـ 29. أخذ 2 من 9، وهنا 30 و4. سوف أصنع عدداً

على شكل مجموع مثل هذا. سأفرك هذين العددين إلى سلسلة من المكونات بحيث يسهل التعامل معها.

$4 + 30 + 9 + 20$ أبداً بجمع 9 إلى 4 فقط. ولكن بإمكانني أن أفرق 4 إذا شئت.

المعلم: بإمكانك، إذا رغبت في ذلك

الطفل: أعرف أن هذا يساوي 13 لأنني أحتاج 1 فقط لأحصل على 10 فإذا أخذت هذا الواحد من 4 يبقى لدي 3

فقط

المعلم: لا بأس

الطفل: وهكذا لدي 1 ولدي 3 لقد استخدمت هذا.

المعلم: فهمت

الطفل: ومن ثم، أضيف 13 ثم أجمع 30 و20 فيكون المجموع 50، لأن إضافة 3 إلى 2 يعطي 5، ثم أجمع 13

فيكون الناتج 63

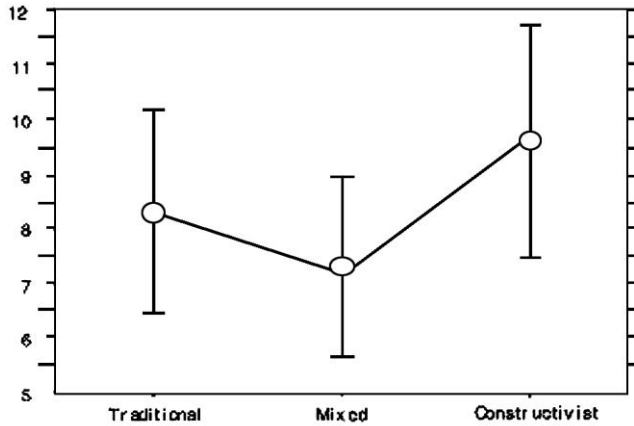
الشكل 4: إعادة التجميع ثم جمع القشرات كما تجمع الوحدات لأطفال من الصف البنائي

مسائل طرح عديدين ذوي رقمين

- جميع الأطفال كانوا بدرجة واحدة من الجودة عند القيام بعملية الطرح دون إعادة تجميع.
- عندما أصبحت المسائل أصعب - تتطلب إعادة تجميع، والطرح من 0 في خانة الآحاد. فإن أطفال الصف البنائي نجحوا أكثر من الصفين التقليدي والتلفيقي في إنجاز العملية.

وقد ظهرت فروق ذات أهمية بين أطفال الصفوف البنائية والتلفيقي في:

1. مجمل الأجوبة الصحيحة (انظر الشكل 5)
2. عدد المسائل الصحيحة التي تحتاج إلى إعادة تجميع واحدة
3. عدد المسائل المحولة بصورة صحيحة والمكتوبة بالشكل الأفقي.



الشكل 5: متوسط العدد الكلي للأجوبة الصحيحة للأنواع المختلفة للزمر المتعلمة

- شكلت الخوارزميات المتعارفة التي تدرس في الولايات المتحدة 85% من استراتيجيات عملية الطرح المستخدمة من قبل أطفال الزمرة التقليدية و48.3% من الاستراتيجيات المستخدمة من قبل أطفال الزمرة التلفيقيية بينما استخدم طلاب الزمرة البنائية 3.7% فقط من هذه الاستراتيجيات.

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- طرح العشرات أولاً وإعادة تجميع المكونات شكلت أكثر من 60% من الاستراتيجيات المستخدمة من قبل أطفال الزمرة البنائية.

استراتيجيات الطرح

عمل أحد الأطفال	18
	128
	<u>-9</u>
	19
المعلم: كيف فكرت بهذه العملية؟	
الطفل: لأننا لا نستطيع طرح 9 من 8، لذلك تستلف واحداً فنحصل على... نستلف من...، نستلف 1 من 2 فيبقى واحد. نضع الواحد بجوار 8 فنحصل على العدد 18، ولكن حاصل جمع 9 و9 يساوي 18	

الشكل 6: الخوارزميات المتعارفة للطرح في الزمرة التقليدية

تعرض الأشكال 6 و7 و8 و9 أمثلة لأعمال الأطفال الكتابية والشرح اللفظية المرافقة في عملية الطرح.

	45
	<u>-30</u>
	15
الطفل: إن ناتج طرح 30 من 45 يساوي 15 لأننا إذا طرحنا 30 من 40 كان الناتج 10. وهكذا زاد معنا 10، ثم لدينا 5 إضافة إلى العشرة فيكون الناتج 15.	

الشكل 7: طرح العشرات أولاً في الزمرة البنائية

	28
	<u>-9</u>
	19
المعلم: كيف قمت بهذه العملية؟	
الطفل: حسناً أعلم أنه لو كان لدينا 28 تنقص 8 سيكون الناتج 20. ولكن لدينا 28 تنقص 9، إذن علينا أن نستبعد 1 من 20 فيكون الناتج 19.	

الشكل 8: إعادة التجميع واستخدامها في عملية الطرح في الزمرة البنائية

28
<u>9</u>
19
الطفل: علينا أن نطرح 9 من 28
المعلم: يبدو أن الأمر يحتاج إلى براعة.
الطفل: لا، ليس كذلك. الجواب 19
المعلم: من أين جاء العدد 19؟
الطفل: انتظر...
المعلم: هذا صحيح، ولكن لماذا هذا صحيح؟
الطفل: لأنه إذا طرحنا 8 من 9 كان الناتج 1-
المعلم: 9 تنقص 8
الطفل: لا، لا أريد أن أبدأ بهذا، دعني أرى... علي أن أبدأ هكذا 9 تنقص 8 يبقى سالب 1 وسالب واحد تنقص 20
(يقصد - (20 - 1)، يساوي 20 تنقص 1. هو 19

الشكل 9: استخدم الأعداد السالبة في الزمرة البنائية

مناقشة وتلخيص

إن الأطفال في الصفوف البنائية قد أصبحت لديهم الشجاعة لحل مسائل الجمع والطرح باستخدام معرفتهم بالأعداد، من تقريبها إلى مكونات وتجميع هذه المكونات بطرائق ذات معنى بالإضافة إليهم.

وقد بينت نتائج مسألة ترتيب أحد أيام السنة أن هؤلاء الأطفال كانوا أكثر قدرة على التكيف في التعامل مع الأعداد من أولئك الذين في الصفوف التقليدية. ومع أن أطفال الصفوف البنائية لم يتلقوا تعليمات في استخدام الخوارزميات المتعارفة، فقد تفوقوا في عمليتي جمع وطرح أعداد مكونة من رقمين. نستخلص مما سبق:

- لقد استخدم أطفال الصفوف التقليدية الخوارزميات المتعارفة حصراً في عمليات الجمع والطرح.
- كما استخدم كثير من أطفال الصفوف التلقيفية أيضاً الخوارزميات المتعارفة. إن استخدام الخوارزميات كان عملية إجرائية.

- استخدم أطفال الصفوف التلقيفية أحياناً استراتيجيات توجي بفهمهم لقاعدة العلاقات بين الجزئي والكلي، مثل العد تصاعدياً أو استخدام الخاصة التبديلية.
- يعتمد أطفال الصفوف البنائية على استراتيجيات تتعلق بمفهوم العدد حيث تدل على فهم أكبر للعلاقات بين الجزئي والكلي. ونادراً ما كانوا يستخدمون الخوارزميات المتعارفة.
- عندما يتطلب الأمر إعادة التجميع فإن الزمرة البنائية، كان أدائها أفضل من الزمرتين الآخرين، وكان أداء الزمرة التلقيفية دون الجميع.

إن البيانات المستخلصة من هذه الدراسة تدعم وجهة النظر القائلة بأن الأطفال تفوقوا في الحساب عندما اعتمدوا على تفكيرهم الذاتي في مجال الأعداد أكثر من اعتمادهم على العمليات المتعلمة.

وبالمقابل عندما اعتمد الأطفال على المعرفة الإجرائية للخوارزميات المتعارفة، فإن الأخطاء التي ارتكبوها كانت تتعلق بتصميم القواعد على قول (Omsnon و Resnick 1987). ولما كان تركيزهم أثناء العمليات على الأعمدة واحداً فواحداً، فقد أفقدهم هذا، المعنى الكلي للكميات التي كانوا يتعاملون معها.

وقد ارتأى (Kamii 1989) أن الأطفال كانوا يجمعون الأعداد ويفرقونها بطرائق ذات معنى بالنسبة إليهم، وقد طوروا العلاقات بين الجزء والكل وعمقوا فهمهم للقيمة المنزلية. وقد أثرت هذه الفهم في الأطفال التمثيلات الكتابية للمسائل الحسابية والشروح اللفظية لما كانوا يفكرون به.

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

بحوث في
مجال التعليم العالي

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

من المكتبات التقليدية إلى المكتبات الرقمية

الأستاذ الدكتور أبو بكر خالد سعد الله

قسم الرياضيات - المدرسة العليا

للأساتذة القبة - الجمهورية الجزائرية

نتناول في هذا المقال وضعاً خاصاً تمرّ به المكتبات العمومية والأكاديمية يتمثل في دخولها عصر الرقمنة digitization. تطرح هذه المرحلة الانتقالية العديد من التساؤلات التنظيمية والتقنية والاقتصادية تمس مستقبل هذه المكتبات التي ألفنا التعامل معها بأساليب تجاوزها الزمن اليوم، ولا يمكن الحديث عن هذه القضية دون التطرق بإسهاب إلى وضعية المجلات الأكاديمية العلمية، إذ أصبح تزايد أسعار الاشتراكات فيها وتزايد عناوينها الشغل الشاغل للمعنيين بشؤون المكتبات الجامعية الحديثة. ولما كان هذا الموضوع ذا صلة مباشرة بالناشر وبكبار الناشرين فقد اشرنا هنا إلى بعض القضايا ذات الاهتمام المشترك بين المؤلفين والناشرين والمكتبات.

يصف بعضهم القرن الحادي والعشرين بقرن "المعرفة الرقمية" سواء عبر المكتبات العمومية أو مباشرة عبر الشبكات الداخلية في المؤسسات وشبكة الإنترنت. وقد تنبأ الأديب البرتغالي "خوسي ساراماغو Sarmago" - الحاصل على جائزة نوبل في الآداب علم 1998 - بأننا سوف نفتقد، عما قريب، "المكتبة التقليدية التي نطالع فيها الكتب بتصفح أوراقها ذات الرائحة المعطرة بعطر المطابع والحاملة لبصمات الأنامل البشرية التي سبقتنا إلى لمس تلك الكتب" (1). وحذر من مضار الإنترنت في المجال الفكري والثقافي مؤكداً أن التقدم كان دائماً ذا وجهين، وجه نافع ووجه ضار. ولتوضيح هذا الرأي يضرب "ساراماغو" مثلاً بالقطار: إن كان القطار ينقل سلعاً

ضرورية لحياتنا أو يحملنا إلى أماكن إقامتنا فهو نافع. أما إن كان ينقل الآليات الحربية ويحمل الأبرياء للزج بهم في السجون وأماكن التعذيب فهو ضار. ذلك هو حال قطار الإنترنت وما يجلبه من معارف.

ولا يتفق "ساراماغو" مع أولئك الذين يقولون إن التقانات الجديدة ستسمح لنا ببلوغ درجة عالية من الثقافة: إن تراكم المعلومات لا يجعلنا أكثر علماً وأكثر ثقافة ونضجاً إلى إذا قرّبتنا تلك المعلومات من بني جلدتنا. والمفارقة في هذا المقام – حسب ساراماغو – أن إمكان النفوذ عن بعد إلى المعلومات والوثائق والمعارف كافة التي نحتاج إليها تزيد في خطورة العزلة والابتعاد عن بعضنا البعض!

ورغم رأي "ساراماغو" المتشائم فالأرقام تفيد بارتفاع عدد الكتب المعارة من المكتبات العمومية ارتفاعاً كبيراً خلال الفترة الأخيرة. والواقع أن هذا الموضوع الذي يطرحه "ساراماغو" يتعلق بأمر صار يشغل بال ذوي الحل والربط في المجال الثقافي، سيما القائمين على المكتبات العمومية. وما يحدث الآن في مجال نشر الكتاب على المستوى العالمي بسيط وخطير في آن واحد: هناك زيادة كبيرة في عدد المؤلفين وفي عدد الكتب، لكن هناك نقصاً كبيراً في عدد النسخ المسحوبة من كل كتاب. فعلى سبيل المثال تبين بعض الإحصاءات أن متوسط عدد النسخ المسحوبة من الكتاب في بعض الدول الغربية الكبرى تقلص من 15000 إلى 9000 خلال عشر سنوات. وقد أدت هذه الوضعية إلى ارتفاع سع الكتاب. ومن ثم تقلص عدد الزبائن في مكتبات البيع وراحوا يبحثون عن بديل الكتاب التقليدي في شبكة الإنترنت والمكتبات العمومية. وهكذا ندرك أن عالم نشر الكتب يعرف أزمة حادة زادت الإنترنت طينها بلة. أما المجالات فحدث ولا حرج. فقد بلغ عدد المقالات العلمية التي نشرت في الولايات المتحدة، سنة 1990، 250000 مقال، وفي اليابان 50000 مقال. أما كوريا الجنوبية – المصنفة في المرتبة الثالثة والثلاثين في مجال النشر العلمي – فنشرت 1800 مقال. تدل هذه الأرقام دلالة واضحة على مدى انتشار وتعدد المقالات العلمية عبر العالم.

تسوقنا هذه الإحصاءات على طرح العديد من الأسئلة: كيف يمكن مسابقة هذا التزايد الضخم في الإنتاج العلمي؟ هل تستطيع المجلات التقليدية "الورقية" مواصلة استيعاب كل هذه البحوث؟ كم يدوم انتظار الباحث لرؤية عمله منشوراً على صفحات إحدى المجلات الأكاديمية؟

رقمنة أرشيف المكتبات

ماذا نعني بالرقمنة (بالإنكليزية digitization، وبالفرنسية numérisation)؟ الرقمنة، بمعناها التقني، هي عملية تحويل جملة المعلومات، مثل مضمون الكتاب والمجلة والتسجيلات الصوتية والصور والفيديو إلى "بايت" bits، أي إلى سلسلة مكونة من الرقمين 0-1، وتتم الرقمنة باستخدام تقانات تتمثل في:

- إنتاج نسخ رقمية للوثائق أو تعديل كائنات رقمية بهدف بثها.
 - نشر هذا الإنتاج بوضع آليات تسمح للجمهور بالنفوذ إلى الوثائق المرقمنة.
 - توفير أدوات بحث يستخدمها الجمهور للنفوذ الياسير إلى الكائنات المرقمنة أو التقليدية.
- إن جميع المكتبات العمومية والأكاديمية في العالم منشغلة الآن بقضية رقمنة أرشيفها وما يصلها من كتب ومنشورات بشكل دائم، وهذا نظراً لما في الرقمنة من فوائد:
- الحفاظ على الوثائق (الكتب والمخطوطات وغيرها) التالفة والنادرة دون تقليص عدد المطلعين على تلك الوثائق إذ يمنع القارئ في الكثير من الأحيان، من الاطلاع في المكتبة على نسخة من كتاب أو الحصول على صورة منه بسبب تلف ذلك الكتاب.
 - غالباً ما يظهر المخطوط المرقمن بشكل أوضح من نسخته الأصلية، وهذا بفضل ما توصلت إليه التقانات الحديثة في مجال التصوير.
 - سهولة الاستخدام: يصل المستخدم إلى المعلومات التي يريدها في دقائق معدودات، وهذا دون التنقل إلى المكتبة والبحث فيها عن مكان وطرح السؤال على المعنيين لجلب الوثيقة.
 - إمكانية إطلاع العديد من القراء على الوثيقة نفسها في آن واحد.
 - زوال عملية المخطوط أو الكتاب إلى مكانه في رفوف المكتبة بعد أن يطلع عليه القارئ، وهي

عملية مضنية وتتطلب يدأ عاملة، وفي الكثير من الأحيان لا يعود المخطوط إلى مكانه بالضبط،

• زوال اختفاء الوثائق والكتب وسرقتها من المكتبات.

ستكون عملية الرقمنة تدريجية في جميع المكتبات، فهذه مكتبة جامعة "هارفارد" الأمريكية قد رقمت نحو مائة ألف وثيقة وضعتها في أقراص مضغوطة، والعملية متواصلة. وكذلك فعلت مكتبة الكونغرس الأمريكية حيث رقمت ما يزيد على 5 ملايين كتاب. والطريقة المتبعة هنا في الرقمنة قليلة التكاليف وتعطي صوراً واضحة تظهر أحياناً ما لا يظهر بالعين المجردة في النسخ الأصلية. أما مكتبة فرانسوا ميتران الفرنسية فيبلغ الطول الإجمالي لرفوفها 395 كلم، وهي تسع وعشرين مليون كتاب. إنها مكتبة كلفت مليار دولار. ورغم ذلك اقتنع المشرفون عليها بأنه لا مناص من الرقمنة في آخر المطاف، ولذا فقد بلغوا شوطاً متقدماً في مجال الرقمنة.

ويعاب على طريقة الرقمنة بالشكل المسمى PDF التي تستخدم التصوير بجهاز الماسح (السكرانر) بأنها لا تسمح سوى بقراءة النص، ولا تتيح فرصة البحث عن كلمة أو مقولة داخل النص بواسطة محركات البحث المعروفة والمستخدمة كثيراً على شبكة الإنترنت. كما أنه لا يمكن "نسخها" و"لصقها" (بمصطلحات الحاسوب)، وضخامة ملفاتها يصعب عملية إرسالها عبر البريد الإلكتروني. وقد توصل الخبراء إلى طريقة أخرى في الرقمنة تجعلنا نتفادى هذا المشكل حيث تتم رقمنة النص إلكترونياً بفضل تعرف برامج معلوماتية على الحروف فيتحول الكتاب المخطوط إلى نص مصنف من جديد. والملاحظ أن هذا النوع من البرامج يتحسن يوماً بعد يوم ويزداد دقة حتى إن بعضها وصل إلى دقة تعرف على الحروف قاربت 99%. وهذا يعني أنها ترتكب العديد من الأخطاء في الصفحة الواحدة. وعندما نريد تصويب هذه الأخطاء يدوياً فإن هذه الطريقة تعادل، من حيث التكلفة، ما يتطلبه استخدام الماسح.

ومن المعروف أن أبطأ طريقة لرقمنة نص هو إعادة تصفيفه، وهي في الوقت نفسه الأكثر تكلفة حتى إن بعض المؤسسات لجأت إلى السوق الآسيوية، المعروفة بيدها العاملة غير المكلفة، لرقن كمية ضخمة من النصوص، غير أن جل هؤلاء المصنفين لا يتقنون اللغة التي كتب بها

النص، وهو ما ترتب عنه الكثير من الأخطاء تمّ تصحيح بعضها تلقائياً عن طريق البرامج التي تتعرف على الحروف. هناك من قدّر تكاليف رقمنة كتاب بهذه الطريقة كما يلي: إذا بلغ عدد صفحات الكتاب 300 صفحة فإنّ تصفيف الصفحة تقدّر بدولار واحد، ويكلف نقلها إلى نظام لغة النصوص المترابطة html دولارين. ومن ثم تقدّر عملية رقمنة هذا الكتاب بـ 900 دولار، وهي تكلفة باهظة.

والملاحظ في الوقت الراهن أن جلّ الوثائق المكتوبة (كتب، مجلات، دوريات، إلخ) التي تصل إلى المكتبات قد مرت عند ناشرها على عملية التصفيف، ولذا تلجأ المكتبات (التي تسعى إلى رقمنة أرشيفها) إلى التفاوض حول الأسعار من أجل الحصول على تلك النصوص في أقراص مضغوطة أو على حوامل معلوماتية أخرى تسهل عملية الرقمنة.

وهناك قضية أخرى بالغة الأهمية تواجه الرقمنة تتمثل في حقوق المؤلفين: فعندما حضرت شركة: "آي بي أم" IBM قرصاً مضغوطاً للذكرى المئوية الخامسة لرحلة كريستف كولمبس دفعت حوالي مليون دولار كحقوق إعادة نشر بعض الوثائق. وتتفادى المكتبات هذا المشكل في أغلب الأحيان بالاكتماء برقمنة الكتب القديمة التي صارت ملكاً عمومياً. وهكذا قامت جامعة كورنيل Cornell برقمنة المؤلفات الرئيسية في علم الزراعة التي ظهرت منذ 1850 إلى 1950 متفادية كل المؤلفات المحمية بحقوق المؤلف. وفي الوطن العربي نجد مؤسسة الوراق الإماراتية(2)، التي تضع مجاًناً للقارئ أمهات الكتب العربية، قد رقمنت الآن الكتاب التراثية دون غيرها والعملية ما زالت متواصلة على قدم وساق. وفي أمريكا أنشئت على شبكة الإنترنت مكتبة إلكترونية(3) electronic library، وضعت مجاًناً تحت تصرف القارئ عشرات آلاف الكتب جلها من الكتب القديمة.

ومهما تكن الجهود المبذولة في عالم الرقمنة فإن سرعة التقدم الذي يعرفه مجال المعلوماتية يحتم على المكتبات السائرة في طريق الرقمنة تحديث محتوياتها وتكييف أرشيفها بالأنماط الجديدة - مسابرة للجديد - مرة كل خمس سنوات على الأقل.

وضعية المجلات الأكاديمية

يرجع بعضهم(4) انطلاق الدوريات العلمية إلى عام 1665 عندما صدرت مجلة Journal des savants بباريس وتلتها مجلة Philosophical Transactions التي أصدرتها الهيئة الملكية اللندنية. ومما طور نشر المجلات العلمية هو النمو السريع للتعليم العالي وانتشار نشاطات البحث العلمي خلال القرن العشرين. وتشير الإحصاءات إلى أن عدد المجلات العلمية يتضاعف كل عشرين سنة منذ القرن السابع عشر، بينما تتضاعف كمية النصوص العلمية كل عقد أو عقد ونصف(5).

وقد أصبحت اليوم جلّ الدوريات الأكاديمية تملك مواقع على شبكة الإنترنت تعرض فيها محتويات أعدادها كاملة أو ملخصة. وظهرت إلى جانب ذلك، خلال أواخر القرن العشرين، مجلات أكاديمية تصدر إلكترونياً دون طبعها ورقياً. إن وضعية هذين النوعين من الإصدارات صارت ملفتة للانتباه الباحثين والناشرين التجاريين والمكتبات الجامعية والعمومية والهيئات الرسمية إذ لم يهتدوا بعد إلى حلّ توفيق يرضي جميع هذه الأطراف.

ويمكن أن نصف المتعاملين في مجال المجلات الأكاديمية إلى ثلاثة أصناف:

- الباحثون: المنتجون والمستهلكون للمعارف العلمية،
- الناشر: المنظّمون والمتحكمون في عملية نشر المعارف،
- المكتبات: تختار العناوين المناسبة (الاشتراكات) لتلبية رغبة قرائها.

تقوم المجلات الأكاديمية الورقية بنشر مقالات وأعمال علمية يوفرها مجاناً الباحثون ويحكمها الخبراء تطوعاً ويعالجها ناشرون علميون يتقاضون أجورهم من قبل هيئات علمية (جامعات، مراكز بحث، الخ). ويكتفي الناشر التجاري بعمليتي الطبع والتوزيع مستحوذاً على كل الأرباح. غير أن الأموال المخصصة لاقتناء المجلات على مستوى مكتبات البحث ليست مستقرة، مما جعل الناشرين يرفعون أسعار الاشتراك في المجلات الأكاديمية لضمان الربح سيما بعد تزايد عددها. لكن رفع الأسعار جعل أيضاً المكتبات تلغي عدداً من الاشتراكات في تلك المجلات:

الخوف من الخسارة يرفع الأسعار، ورفع الأسعار يقلص الاشتراكات، وتقلص الاشتراكات يرفع الأسعار. وهكذا صارت الأمور تدور في حلقة مفرغة. ومن ثم لا بدّ من التفكير في أنماط تعامل أخرى سيما أن الباحثين أصبحوا يمتلكون وسائل حديثة تغنيهم نسبياً عن النشر في المجلات. كيف تعمل المجلات الإلكترونية المتطورة؟ إليك نموذجاً لها: يرسل الباحث عمله مصففاً وفق المعايير الدولية إلى المجلة الإلكترونية عن طريق البريد الإلكتروني. وتكون هذه المجلة قد جهزت وسائل استقبالها بشكل يرفض تلقائياً كل بحث لم يكتب بتلك المعايير. وإن وصل البحث إلى المجلة يصلك تلقائياً إشعار استلام. ثم يرسل القائم على المجلة بحثك إلى محكم عبر البريد الإلكتروني.

وبعد التحكيم يعيد الخبير نص المقال مع تقريره إلى رئيس تحرير المجلة فيحوله إلكترونياً على صاحب المقال الذي يدخل عليه التعديلات اللازمة (إن قبل للنشر) حسب ملاحظات المحكم؛ ثم يعيده على عنوان المجلة بنفس الطريقة. وعند القبول النهائي للبحث يصدر كما هو في العدد الجاري للمجلة ويظهر على شاشة حاسوبك إن فتحت موقع المجلة على شبكة الإنترنت. إذ لا يهمّ عدد صفحات المجلة الإلكترونية ولا تاريخ وصول المقال ولا عددها، وهذا خلافاً للمجلات الورقية المرتبطة بمواعيد النشر والطباعة وعدد الصفحات ومواعيد التوزيع ونحو ذلك من القيود. والجميل في ذلك أن كل شيء يتم إلكترونياً ولا يؤدي رئيس تحرير المجلة الرقمية دوراً سوى أنه يربط بين الباحث والمحكم. ونتيجة لهذا التنسيق يظهر المقال على موقع المجلة دون إعادة تصفيفه.

لقد أثبتت المجلات الإلكترونية أنه بالإمكان الاحتفاظ في هذا النوع الجديد من الإصدارات بمعايير نشر حديثة وتحكيم رفيع، مع إدخال عدة عناصر جديدة مثل الصورة والفيديو والصوت، الخ. والواقع أن الذي سيغيّر الأشياء في المجلات التقليدية ليس هذا فحسب بل سيأتي التغيير الكبير من قرار غالبية الباحثين المتعلق باختبار وعاء نشر أعمالهم: هل سيظل وعاء ورقياً أم سيتحوّل إلى وعاء رقمي في يوم قريب؟ وهنا ينبغي الإشارة إلى أن النشر الإلكتروني يتطلب بعض المهارات سيما إذا رغبتنا في الحصول على خدمات راقية لا تتوقف عند إظهار صفحة من

صفحات النسخة الورقية على الشاشة. ولعل ما يجلب الباحثين أكثر نحو النشر الإلكتروني هو سرعة النشر، غير أن هناك من الباحثين من لا يعير أهمية كبيرة لهذا الجانب - كما أسلفنا - لأن بحوثهم مرت بخبراء من خلال النشرات الأولية preprint وأطلعوا عليها وقيموها حتى إن لم يفعلوا ذلك بصفة رسمية. ويعتقد باحثون آخرون بأن هذا الأمر مهم لأن أعمالهم يتم الترويج لها عبر النشرات الأولية التي أرسلوا بها إلى كل خبير يرون بأنه يهتم بموضوع البحث. كما يتم التعريف بمثل هذه الأعمال عبر موقع الجامعة أو المخبر أو مركز البحث الذي يعمل فيه صاحب المقال.

والسؤال المطروح على المكتبات هو كيف يمكن تسخير هذا السيل من المجلات والتحكم فيه؟ كيف نميز بين المفيد وغير المفيد من هذه البحوث عندما يتعلق الأمر بالاشتراكات؟ كيف ننظم وسائل البحث والكتب داخل المكتبات؟ والملاحظ أن المجلات الأكاديمية الورقية أصبحت تفقد يوماً بعد يوم عدداً من المشتركين. والغريب أن الباحثين يجهلون عموماً عدد المشتركين في المجلات التي ينشرون فيها أعمالهم. بل يظن أغلبهم أنها تصل إلى عدد كبير من المكتبات؛ والحقيقة هي غير ذلك! إذ يعتبر الناشرون أن الحصول على 300 مشترك في مجلة أكاديمية ورقية نجاحاً كبيراً.

وقد تزايد اهتمام الناشرون التجاريين لما يكسبونه من أرباح من خلال نشر المجلات الأكاديمية فهذه دار إلسيفير Elsevier التي كانت تنشر عام 1980 قرابة 350 مجلة أصبحت بعد مرور 15 سنة تشرف على إصدار ألف مجلة. وقد تجاوز اليوم هذا العدد 1200 مجلة. وبالموازاة مع ذلك زادت أسعار الاشتراكات وعمدت العديد من مراكز البحث والجامعات التي تصدر مجلات إلى التنازل عن حقوقها موكلة عملية النشر إلى الدور الخاصة، وهذا تقادياً للمزيد من المصاريف والمتاعب الأخرى. لكنه تبيّن أن ما كسبته بعض مراكز البحث من هذه العملية قد خسرتة أضعافاً من جراء زيادة كلفة الاشتراكات في نفس المجلات فقدان عملية تبادل المجلات بين المراكز والجامعات.

لنقدم بعض الأرقام المتعلقة بأسعار الاشتراكات في المجلات الأكاديمية المتخصصة من أجل المقارنة: تنشر الجمعية الرياضية الأمريكية AMS الشهيرة عشر وجلات ورقياً ورقمياً تطبق عليها القاعدة التالية:

- الاشتراك في النسخة الإلكترونية يساوي 90% من الاشتراك في النسخة الورقية.

- الاشتراك في النسختين معاً يساوي 110% من الاشتراك في النسخة الورقية.

أما الدورية الأكاديمية الشهيرة Journal of Biological Chemistry المختصة في الكيمياء البيولوجية فلم تشجع الحصول على النسختين الورقية والرقمية معاً حيث يبلغ الاشتراك في النسخة الرقمية 1100 دولار وفي النسخة الورقية 1600 دولار.

إذا تساءلت عن يقوم بنشر المجلات العلمية فهناك رقم إحصائي يمكن أن يوضح ذلك: توجد بالولايات المتحدة أكثر من 6770 مجلة علمية يصدر منها الناشر التجاريون نسبة 40%. أما الهيئات العلمية، مثل الأكاديميات، فلا تصدر سوى 25% من تلك المجلات. وتصدر النسبة المتبقية (35%) المعاهد الجامعية وهيئات البحث. ومن ثم ندرك أهمية سيطرة الناشرين التجاريين. وقد يستغرب القارئ عندما يعلم أنه لو اكتفت كبريات دور النشر العلمية، مثل إلسيفير وبلنم وبولاشينغ Plenum Publishing وولترس كلور Woltres Kluwer بنفس هامش الربح الذي يحققه ناشرو المجلات الأخرى لوفّر الزبائن 240 مليون دولاراً. ذلك ما يذهب إليه المحققون. والأدهى من ذلك أن هذه الدور الكبيرة هي التي تحتكر نشر أهم المجلات العلمية.

ومن ثم يستنتج بعضهم بأن تكاليف النشر لن تنخفض كثيراً لو تحولت المجلات من النسخة الورقية إلى الرقمية. ذلك أن التكاليف الثابتة لإعداد مجلة (ورقة أو رقمية) تظل مرتفعة. وعلى سبيل المثال يذكر القائمون على الجمعية الكيميائية الأمريكية أن هذه التكاليف (الثابتة) تقدر بنسبة 70 إلى 80 في المائة من التكاليف الإجمالية. ويؤكد مسؤول جامعة كاليفورنيا الأرقام نفسها تقريباً (من 72 إلى 82 في المائة). وخلاصة القول إنه من المؤكد بأن النسخة الإلكترونية أقل تكلفة من النسخة الورقية. لكن ما الفارق بين التكاليفتين؟ هنا تتضارب الآراء. تسمح المعطيات السابقة بتقييم الفارق عموماً بـ 30%. لكن الواقع يقول إن الفارق مرتبط بكيفية إصدار

المجلة الإلكترونية. فإن كانت بالطريقة التي بينها في بداية المقال فلا شك أن الفارق بين النسختين سيكون شاسعاً.

والحقيقة أن المجالات الإلكترونية الموجودة حالياً ليست عموماً سوى نسخة طبق الأصل من النسخة الورقية. ولم تجتهد تلك المجالات كثيراً في تكثيف استغلال الخدمات التي توفرها الإمكانيات الرقمية القدرة على البحث داخل المقال وخارجه والروابط وفتح نوافذ للتعاليق على المقالات واستخدام الوسائل التي يوفرها تعدد الوسائط (الصورة، الصوت، الفيديو، المحاكاة الثلاثية الأبعاد،...). وفي مطلق الأحوال فإن التحول من الصيغة الورقية إلى الصيغة الرقمية يتطلب تغيير الذهنيات والممارسات لدى الأطراف المعنية، ولا سيما أصحاب دور النشر التجارية.

وهناك قضية أخرى تتعلق بالمجلات الإلكترونية لا بد من الإشارة إليها في هذا المقام: إذا حدث أن توقفت مجلة ورقية بصفة نهائية عن الصدور فإننا نجد نسخاً منها في المكتبات التي كانت تشترك فيها. وإن توقفت مجلة رقمية عن الصدور فأين نجد نسخها القديمة؟ يجيب بعضهم عن هذا السؤال بأنه ينبغي إنشاء مراكز رسمية تعنى بالحفاظ على هذه النسخ في أرشيفها. وهنا تطرح مسألة أخرى، وهي مسألة التخزين الإلكتروني ومدى تكاليفه.

وفيما يخص التخزين الإلكتروني داخل المكتبات العمومية والجامعية فقد أصبح بوسعنا الآن تخزين ما يزيد على 200000 بحث في قرص مغناطيسي واحد. وهكذا فإن التخزين الإلكتروني لجميع البحوث الرياضية، مثلاً، التي تنشر خلال سنة لا يكلف أكثر من ألف دولار. ومن المعلوم أننا نستطيع تخفيض هذه التكلفة إلى أقل من مائة دولار باستخدام الأقراص الضوئية أو الأقراص الرقمية التي تنتشر في السوق الإلكترونية. وبالتالي فالمكتبات المتخصصة ستتمكن من تخزين جميع ما ينشر في الرياضيات ووضعه في خدمة الباحثين بكلفة لا تتعدى سعر الاشتراك في إحدى المجالات المتخصصة.

وإذا ألقينا نظرة على الجانب المالي في المكتبات وافترضنا مثلاً أن مكتبة متواضعة في أحد المعاهد العلمية تخصص الآن 5000 دولار للاشتراك في المجلات فإن الحفاظ على هذا المستوى (المتواضع) سيطلب تخصيص أكثر من 10000 دولار بعد عشر سنوات. والواقع أن المكتبات العلمية المرموقة في الجامعات تعتمد حوالي 100000 دولار للاشتراكات. ولا بد من مضاعفة هذا المبلغ كل عشر سنوات تقريباً. وزيادة على هذا المبلغ الضخم الذي تتطلبه المجلات فإن المكتبة تستعمل موظفين وتستغل مساحات تستدعي أضعاف هذا المبلغ. ومن هنا يتبين ثقل العبء المالي الذي يقع على كاهل المكتبات العمومية والجامعية، ونفهم في ذات الوقت سبب ندرة المكتبات العلمية الثرية وعدم انتشارها في الجامعات كافة.

المقترحات والحلول

لقد أثار موضوع توزيع المقالات عبر ما يسمى بالنشر الأولي نقاشات حادة بين العديد من المهتمين. تشبّث الباحثون برأيهم معتبرين أن من حقهم توزيع نتائج أبحاثهم بأنفسهم حتى بعد نشرها في المجلات. وهكذا، عندما تقدم ناشر تجاري باقتراح مراجعة سياسة حقوق الطبع التي تنص على الحدّ من هذه العملية وقف في وجهه الباحثون والناشرون العلميون. عندئذ تراجع صاحب الاقتراح. وعلى سبيل المثال نذكر أن الفيزيائيين النظريين والمختصين في الطاقات العالية يستعملون كلهم المزود بالنشر الأولي المسمى جينسبارغ Ginsparg، ومع ذلك فهم لم ينقطعوا على النشر في المجلات التقليدية. وبهذا الصدد اقترح ستيفن هارنارد (6) بأن يقوم الباحثون بتبني سياسة ترمي إلى توزيع واسع للنشر الأولي من أجل الإسراع بتغيير الوضع الراهن للمجلات الأكاديمية الورقية. ولذا ينبغي للمعاهد ومراكز البحث تكثيف إنشاء "مزودات" خاصة بالنشر الأولي لأعمال الباحثين.

وفي السياق نفسه يقترح الأستاذ "أودلايسكو" (7) Odlysko اتباع خطة مبنية على الاستعمال المكثف للوسائل الإلكترونية ترمي إلى إنشاء شبكة عالمية متكاملة تمزج بين الإعلان على النشر الأولي للبحوث وبين المجلات الرقمية. يمكننا تلخيص مقترح "أودلايسكو" في النقاط

الثمانية التالية:

1. إنشاء شبكة إلكترونية بحيث إذا رغب باحث في طلب أحد البحوث، عبر جهازه الموصول بالشبكة، يكفي أن يضغط على زر ليظهر ذلك المقال كاملاً على الشاشة.
2. يستطيع كل باحث، بمجرد الإنتهاء من تحرير نشرة أولية، أن يدخلها خلال لحظات في هذه الشبكة. وينبغي هنا أن تتزود الشبكة بنظام يسمح بإلغاء كل نشرة بعيدة جداً عن الجدية العلمية.
3. يمكن طلب (أو فرص) الالتزام بعدم سحب أية نشرة أولية بعد إدخالها في الشبكة، وهذا حتى يحيط الباحث نشرته بكل العناية اللازمة قبل إدخالها في الشبكة، ولا سيما ما يتعلق بالتأكد من صحة نتائج بحثه.
4. توجيه دعوة مفتوحة لجميع الباحثين حيثما وجدوا من أجل اقتراح تعديلات وتعليقات على كل نشرة أولية تدخل الشبكة. يجب أن تظهر هذه التعليقات في ذيل النشرة تلقائياً بمجرد كتابتها على الجهاز من طرف المعلق.
5. تظل جميع النصوص للنشرة الأولية المقترحة (النص الأصلي والنصوص المنقحة والتعليقات المتوالية) في ذاكرة الشبكة إلى الأبد. ويمكن لأي كان إظهارها على شاشته في أي وقت.
6. بفضل الكلمات المفتاح Key words يتم إعلام الباحثين بدخول أية نشرة أولية في الشبكة. وتكون بعدئذ في متناول الجميع.
7. دعماً لعملية التحكيم يمكن أن يدعو صاحب النشرة الأولية باحثاً بارزاً إلى إبداء رأيه في المقال، فيظهر هذا الرأي في الشبكة كباقي التعليقات والآراء.
8. يمكن التفكير في إدخال بنية تحكيم أخرى بالموازاة مع طريقة التحكيم الحرة المشار إليها آنفاً. وقد تكون البنية ضرورة بسبب كثرة النشرات الأولية وتشعب نتائجها وتعليقاتها. فعلى سبيل المثال يستطيع الساهرون على الشبكة تعيين محكمين رسميين على ضوء التعليقات الصادرة حول نشرة أولية وإظهار التقييم في ذيل النشرة.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

- وبالموازاة مع هذه المقترحات اتخذت بعض دور النشر العديد من المبادرات منها:
- دار إلسيفير: وضعت في تسع مكتبات جامعية أمريكية منها مكتبة جامعة برنستون Princeton، تجهيزاً ببرنامج خاص سمي مشروع (The University Licensing Program) TULIP يهدف إلى اختبار أنظمة النفوذ إلى الشبكة واستخدام المجالات الإلكترونية من مكاتب وأماكن عمل الباحثين. ومن جهة أخرى قررت هذه دار العمل مع المكتبة الهولندية من أجل إنشاء مركز تخزين إلكتروني قومي تخزن فيه "إلسيفير" أرشيفها.
 - دار شبرينغر فيرلاغ Springer-Verlag الألمانية تنوي أرشفة كل دورياتها الإلكترونية وتحويلها إلى المكتبة القومية الألمانية حتى تسهر على صيانتها.
 - دار أكاديميك براس Academic Press الأمريكية تمتلك مكتبة رقمية سميتها IDEAL (International Digital Electronic Access Library) تسمح بتنزيل وطباعة كل المقالات من أجل الاستخدام الشخصي.

ومن الأفكار الحديثة الدعوة التي جاءت في منتصف عام 1999 من قبل باحثين فيزيائيين بغرض تجنيد مجموعة أفراد مستعدين للعمل على تأسيس خدمة عمومية عالمية تهدف إلى إنجاز "الأرشفة الذاتية" للمنشورات العلمية من قبل الباحثين أنفسهم، حيث يقوم كل باحث بأرشفة بحوثه الشخصية. وهناك دعوة إلى تطوير تقانات التخزين لتسهيل العملية ونشر الوثائق التي صار يطلق عليها e-print (المنشورات الإلكترونية) بدل preprint (المنشورات الأولية). وقد أدى هذا النداء إلى لقاءات عديدة عبر العالم وإنجازات حقيقة مثل فتح موقع على شبكة الإنترنت خاص بهذا الموضوع.

وفي هذا السياق نشير أيضاً إلى المشروع الأمريكي (8) e-biomed الذي ظهر في منتصف 1999 وأشرف عليه هارولد "فارموس Varmus" الحائز جائزة نوبل. ويمكن أيضاً التنويه بالمشروع الأوروبي e-biosis الشبيه بالمشروع السابق، هو يرمي إلى كسر الاحتكار الأمريكي المضروب على الحقل الطبي والبيولوجي. وفي هذا الخضم أعلن المجلس القومي لبحث في كندا بأنه سيسمح بالنفوذ المجاني إلى مجلاته (البالغ عددها 14 مجلة) انطلاقاً من أي عنوان إلكتروني

كندي. وقد علق بعضهم على هذا الإجراء بأنه لا فائدة كبيرة (على المستوى التعريف بالبحث في كندا) ترجى من السماح للكنديين من الإطلاع على أعمال زملائهم الكنديين دون سواهم. وبادرت مؤسسة أندومليون إلى تمويل رقمنة كل أعداد مجموعة عشر مجلات ذائعة الصيت في الاقتصاد والتاريخ(9) التي نشرت قبل 1990 وهذا يعني رقمنة 750000 صفحة. ويسعى المشروع إلى بلوغ 100 عنوان على الأقل في حقول علمية. وقد تحصل أصحاب هذا المشروع على موافقة الناشرين للنفوذ الأبدى على الأرشفة: أي أنه إذا قرر ناشر الانسحاب من المشروع فليس له الحق في منع النفوذ إلى أرشيفه الذي توجد نسخة منه في مزود مشروع أندرو مولون. وهناك مشروع آخر يدعى "سبارك SPARC" لا يستهين بالبعد التجاري للمنشورات العلمية لكنه يحرص على الحد من تضخم أسعار الاشتراك في المجلات الأكاديمية. وتشرف على هذا المشروع جمعية أمريكية(10) تعمل مع مشاريع مكنتات أخرى مثل مشروع المكتبة الرقمية لكاليفورنيا أو مشروع روكواد Roquade الهولندي(11). لقد انطلق مشروع سبارك عام 1998 بجامعة ويسكنس الأمريكية ثم انتقل إلى واشنطن. والطريقة التي اعتمدها لتحقيق هدفه هي إنشاء مجلات أكاديمية مرموقة في كل تخصص توازي وتتافس تلك التي نالت شهرة واسعة وصارت تفرض أسعاراً خيالية من أجل الاشتراك فيها. وبذلك الضغط على الناشرين الكبار الذين يحتكرون تسويق كبريات المجلات الأكاديمية.

وخلاصة القول إن التعاون بين الباحثين والمكنتات والناشرين بات أمراً ضرورياً من أجل إيجاد حل ناجع لأن كبار الناشرين لا يترددون في استخدام بعض رجال العلم من أجل فرض حلولهم الخاصة. ولا ننسى أن للمؤسسات الأكاديمية ومسيري الجامعات دوراً هاماً في إنشاء أسرة علمية تتكون من الأساتذة والباحثين تعنى بالبحث عن قواعد جديدة للنشر، ذلك أن تقييم الباحثين بعدد المقالات المنشورة بدل النظر إلى مضامينها يعد عاملاً سلبياً لأنه يزيد في حدة الأزمة الحالية. وينبغي أن نؤكد في السياق نفسه على حقوق المؤلفين والباحثين الذين دعموا من قبل مؤسسات عمومية حتى تتغير العلاقات التي يفرضها بعض الناشر على الباحثين، ومن ثم الحث على فتح أرشفة المجلات للاطلاع عليه مجاناً. كما يتعين على الحكومات اتخاذ

إجراءات من شأنها أن تجعل تسيير الأرشيف الخاص بالمقالات العلمية وغيرها في صالح البحث والباحث والقارئ وليس لصالح الناشرين وحدهم.

وفي كل الأحوال، فلا بد من استخدام مقاييس عالمية حتى يتمكن الباحثون والقراء حينما كانوا من الاستفادة من المكتبة الرقمية المطالبة، في نهاية المطاف، بحشد كل المعارف التي أنتجتها البشرية. كيف تصل المكتبات إلى هذا المستوى من الخدمات؟ هذا هو السؤال الذي ينبغي للناشرين والباحثين والمؤلفين والمسؤولين السياسيين الحرص على تقديم أفضل الإجابات عنه.

الهوامش

1. أنظر : Saramango José, A quoi sert la communication? Le Monde diplomatique, December 1998
2. موقعه على شبكة الإنترنت هو <http://www.alwaraq.com>
3. موقعها على شبكة الإنترنت هو <http://digital.library.upenn.edu/>
4. أنظر : Guédon J.C.: Numériser les revues savantes: d'un commerce à l'autre, La recherche, 335, October 2000
5. أنظر المقال : Sens J.C.: Electronic Publishing in Science, In http://epswww.epfl.ch/ene/ene_apr96_sens_text.html
6. أنظر : Harmad S.: Scholarly skywriting and the prepublication continuum of scientific inquiry, Psychological science, 1, 1990
7. أنظر Odlyzko A.M: La dispartion imminente des revues savants traditionnelles, Gazette des mathématiciens, 63, January 1995
8. أنظر الموقع <http://www.biomedcentral.com>
9. أنظر المقال : Lesk M. Substituting Images for Books: The Economics for Libraries. In <http://community.bellcore.com/lesk/univ/univ.html>
10. تسمى هذه الجمعية Association of Research Libraries
11. أنظر الموقعين : <http://www.roquade.nl> و <http://www.arl.org/sparc>

المراجع

- سعد الله أ. خ.: المجلات الأكاديمية للرياضيات والعلوم... مصير مجهول، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، عدد 119، ديسمبر 1996.
- بالإضافة إلى المواقع على شبكة الإنترنت المشار إليها في الهوامش، استقينا من المواقع الأكاديمية التالية:
- <http://www.ams.org>
<http://www.press.umich.edu>
<http://www.dlib.org>
<http://www.arl.org>
<http://www.journals.uchicago.edu>
<http://www.web.mit.edu>
<http://www.hwmg.stanford.edu>
<http://www.press.umich.edu>
- Carol T. & King D. W.: Designing electronic journals with 30 years of lessons from print, The journal of electronic publishing, 2 December 1998.
- Noam E.M.: Electronic and the dim future of the university, Science 270, October 1995.
- Okerson A.S & O'Donnell J.J eds: Scholarly Journals at the Crossroads: A subversive Proposal for Electronic Publishing, Ass. Res. Lib. 1995.
- Price D.J. The exponential curve of science, Discovery, 17, 1956.

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

من أعلام
الحضارة العربية والإسلامية

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

الترجمان

دراسة في ترجمة صدر الإسلام

الأستاذ طالب محيبس حسن الوائلي

كلية التربية - واسط/جامعة القادسية

حظيت الترجمة باهتمام دراسي الحضارة الإسلامية وقراءتها، وليس أدل من ذلك أنها كانت موضوعاً لرسالة دكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية(1)، وعنواناً للكثير من الكتب والبحوث التي تناولت أعلام الترجمة وأوضاعها، والكتب التي ترجمت وغير ذلك(2)، لكن هذه الدراسات ركزت على دراسة الترجمة بعد تحولها إلى حركة ولم تتطرق إلى المحاولات الأولى للتعريب، ودور الترجمان في الفكر العربي قبل الإسلام وفي عصر صدر الرسالة، وهو أمر طالما شغل بال النبي (ص) والصحابة الكرام، ذلك لارتباطه بالدولة والعقيدة الناشئتين في مكة والمدنية؛ فضلاً عن وجود بعض الصحابة من أمم أخرى. لذا فعندما وضع الرسول (ص) أسس دولته، أولى الترجمان اهتماماً خاصاً، فدعا الصحابة إلى تعلم اللغات، إذ أن الكثير من المصادر تدلنا على معرفة عدد من الصحابة للغات الأمم المجاورة. ونحاول هنا دراسة ذلك مركزين على دور الترجمان (interpret) في الحياة الإسلامية المبكرة، ثم التطرق إلى تطلعات المسلمين المبكرة للترجمة النصية (translation)، أيام الخلفاء الراشدين. واثراً الأمم المجاورة فيها، فضلاً عن دور الوجود الكتابي في الجزيرة في تحفيز المسلمين لخوض غمارها، معتمدين في هذا على مصادر التاريخ الإسلامي الأولية والتي يمكن الإطلاع عليها في قائمة المصادر؛ إذ توفرت على إشارات عابرة بهذا الصدد، وتجاهلت الإشارة إلى معلومات هامة تتعلق بموضوعنا. على العكس من حركة الترجمة في العصور اللاحقة.

والترجمان في اللغة مشتق من الفعل رَجَمَ، أي تكلم بالظن، قال تعالى "رجماً بالغيب"، ومنه تَرَجَّمُوا بالحجارة تراموا بها، وحسب الجوهري، معناه الذي يُترجم الكلام من لغة إلى أخرى ومن لسان إلى آخر، يسمى ترجماناً والجمع تَراجِم. والتاء والنون زائدتان، كزعفران وزعافر وضم الجيم لغة وضم التاء والجيم معاً لغة⁽³⁾، ويقول ابن منظور في لسانه أيضاً، التَّرجُمانُ (بفتح التاء) والتَّرجُمانُ (بضمها): المفسر، وقد تَرَجَّمَهُ وترجم عنه⁴، أما اصطلاحاً، فيمكن القول إن الترجمان هو الذي ينقل كلام المتحدث إلى المتلقي مباشرة من لغة إلى أخرى ومن لسان إلى غيره، بسبب عدم قدرة المتلقي على فهم معناه. أو لأسباب اعتبارية أخرى. وكان العرب منذ القدم يعرفون الترجمان بسبب موقعهم الذي حتم عليهم الاتصال بالأمم بالمجاورة.

لقد أصبحت شبه الجزيرة العربية منطقة صراع نفوذ بين الإمبراطوريتين العظيمتين التي تجاوزها بالنظر لكونها مثلت من خلال موقعها الجغرافي نقطة تلاق هامة لحضارات الأمم المجاورة لها وثقافاتها، ذلك على الرغم من الجفاف الذي يطغي على معظم مناطقها، ولم يكن هذا الصراع شديد الوضوح في الحجاز، بقدر ما كان حلياً في أطراف شبه الجزيرة، لا سيما العراق وبلاد الشام واليمن وغيرها. فعلى الرغم من أن عدم انتظام الأمطار، جعل طبيعة معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية جافة وصحراوية، فرضت بدورها حياة الترحال والبدواة على سكان هذه الأجزاء، لكن بعضهم الآخر توفر على مناخ معتدل وتربة خصبة ومصادر مياه، قامت فيها وحولها المدن، فقام نشاط زراعي وتجاري. في الوقت الذي كانت فيه مكة، التي ترسخ مركزها الديني في نفوس العرب، مزاراً للحجيج في كل عام، الأمر الذي أدى إلى انتعاش الحركة التجارية فيها مما دفع أبرهة الحبشي إلى القيام بحملته المشهورة لهدم كعبتها بغية تحويل اهتمام العرب عنها إلى اليمن حيث يحكم. فضلاً عن خوفه من تحول تجمع القبائل السنوي حولها إلى مؤتمر يوحد القوى العربية فيلتنفتون إليه ويطردونه من اليمن، وربما دفع الأمر نفسه الفرس والروم وغيرهم، إرسال تجارهم للإقامة في مكة فكان واجب قسم منهم - حسب جواد علي - التجسس على العرب، فكان التجار الروم يوافون أسيادهم بأخبار العلاقات المتبادلة بين العرب والفرس⁽⁵⁾، بوصفها جزءاً من تداعيات الصراع بين العملايين.

وطالما أجبرت ظروف البلاد الصعبة القوى الكبرى على إبقائها بيد سكان العرب(6)، حاول أهلها استغلال موقع بلادهم بالقرب من الفرس والروم والأقباط، فجعلوا من بلادهم ممراً لخط تجاري يصل شمالي الجزيرة العربية بجنوبها، اختلفت قوافلهم التجارية لمقايضة البضائع ببعضها، ولنقل بضائع الهند إلى الروم وبالعكس، ولم تقل سيطرة الروم على البحر الأحمر مدة من الزمن من أهمية شبه الجزيرة العربية كطريق بري رديف لذلك الطريق البحري. فكانت ممراً لاتصال بلاد فارس والعراق باليمن التي سقط حكم الأحباش فيها لصالح الفرس، واتصال الأحباش بالروم الذين فقدوا السيطرة على البحر الأحمر، نتيجة السيطرة الفارسية، فأخذت بضائع إفريقيا الشرقية تتدفق نحو العراق وفارس(7).

ولا يمكن المرور بأوضاع المجتمع العربي الجاهلي دون ذكر ما كان عليه وضع الوجود العربي في العراق وبلاد الشام، ففي العراق كان المناذرة في تماس مباشر مع الفرس، وحاولوا استئناس تقاليدهم الحضارية وقيمهم، وكذلك فعل الغساسنة في الشام مع الروم، فأضحت هاتان التجريبتان السياسيتان العربيتان أسيرتي القوالب الفكرية والسياسية التي وضعتا نفسيهما فيها، فلم يكتب لهما الاستمرار، وانتهتا أمام أول امتحان خارجي.

لكن الحجازيين ومنذ مطلع القرن السابع الميلادي، اضطلعوا بدور الوسيط التجاري بين الأمم المحاذية لهم، يأخذون من تجارها الضرائب والمكوس(8)، كما سجل لنا التاريخ زيارات عمل قام بها زعماء مكة إلى العراق والشام والحبشة وعقدوا معاهدات تجارية بينهم وبين أكاسرة الفرس وقيصرة الروم(9)، فضلاً عن العلاقات المتميزة مع الأحباش، لذا نقرأ في سيرة أبي سفيان بن حرب، أنه دخل بلاط كسرى وهرقل أكثر من مرة، ومثال على هذا ما أورده يوم وصلت رسالة النبي (ص) على قيصر الروم فأراد الأخير أن يستفسر عنه، فبعث طالباً رجلاً من عرب مكة فاستدعي أبو سفيان وآخرين أمام هرقل(10)، كما نلمس كثافة اتصال العرب ببلاطات الأمم المجاورة في قول عروة بن مسعود الثقفي، ممثل قريش في صلح الحديبية، بعيد لقائه الرسول (ص) الذي يصف فيه احترام المسلمين وإجلالهم للنبي إذ قال:

"قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في

قومه قط مثل محمد في أصحابه..."(11).

والأمر نفسه نجده في قصة إسلام المغيرة بن شعبة، إذ ينقل الأصفهاني عنه أنه زار المقوقس في الإسكندرية مع نفر من بني مالك(12)، كما لا ننسى العلاقة المتميزة بين نجاشي الحبشة زعماء قريش التي أهلكهم لإرسال عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، غليه طالبين تسليمه مهاجري الإسلام(13).

ولا يقتصر الأمر على الموقع والتجارة، بل كان للأمن أهمية كبيرة لدى الفرس والروم الذين كانوا يدركون أن عوامل كثيرة، منها حياة القحط والفقر التي يعيشها معظم سكان الجزيرة، يمكن أن تصبح في يوم ما عاملاً يدفع هؤلاء لمهاجمة حدودهم، فنرى الروم يدعمون تجربة الغساسنة السياسية كي يشكلوا عازلاً بينهم وبين عرب الجزيرة، وكذلك حال الفرس مع المناذرة في الحيرة، إذا كانت لكل منهما وفادة سنوية إلى بلاطي فارس والروم(14)، فضلاً عن العامل الديني، عندما كان كل طرف يحاول كسب العرب على ديانته، بغية احتوائهم ودفع أذاهم وتحويله في النهاية نحو عدوهم، ومن أجل ذلك، كان التجسس وكسب ود بعض الزعامات العربية وفسح المجال أمام بعض التجار لممارسة التبادل التجاري بحرية، والروايات في ذلك كثيرة، فلقد سجل لنا التاريخ محاولات فارسية لنشر المجوسية بين العرب، منها ما يروى عن ظهور نار بين مكة ويثرب قبيل مولد النبي (ص) بقليل كانت تغيب في النهار وتظهر في الليل، فهابها العرب وكادت طوائف منهم أن تعبدها وتتمجس، لولا أن تصدى لها خالد بن سنان العبسي وأطفأها(15). بل أن ابن خلدون يرى، أن الفرس كانت تحج على الكعبة وتتقرب إليها وأن غزالي الذهب الذين وجدهما عبد المطلب حين احتقر زمزم كانا من قرابينهم(16).

ومعنى ما تقدم أن أمة العرب لم تكن بعيدة عن الأمم الأخرى، بل كانت لها علاقات معها وكانوا على اطلاع بحضارة الأمم وألسنتها المختلفة. فلا يعقل أن توجد كل هذه العلاقات بين المجتمع العربي والدول المجاورة، ولا يوجد بين عرب الحجاز من يتكلم بلسانها، وهنا، تتناقض المصادر العربية مع بعضها بوضوح، فيبالغ معظمها في وصف العرب بالجهل والتخلف والأمية، ناهيك عن المعرفة بلغات الأمم الأخرى، فيما يشير بعضها على استحياء إشارات عابرة إلى

معرفة عدد من تجار مكة والمدينة بلغة الفرس أو لسان الروم، في وقت تشير فيه أخرى إلى وجود حركة ترجمة كبيرة لدى علماء الأمتين الكبيرتين(17). ولما جاء الرسول (ص)، لن تعان دولته الناشئة من نقص في الترجمة، لأن الكثير من الصحابة، سواء في مكة أو في المدينة، كانوا يتقنون الفارسية والرومية والحبشية وغير ذلك(18).

توفرت الجزيرة العربية على عناصر عربية اعتنقت ديانات مختلفة، فإلى جانب الوثنية التي توزعت على نواحي الجزيرة المختلفة، انتشرت الديانة اليهودية بكثافة بين قبائل بني قينقاع وبني النضير وبني قريضة، في المنطقة الواقعة إلى الشمال من يثرب، التي كان سكانها من الأوس والخزرج يدينون بالوثنية، وهناك وجود يهودي أقل شأنًا في مناطق أخرى من بينها، صنعاء اليمن، وكانت هذه القبائل تهتم بقراءة التوراة باللغة العبرانية، ومن بين أبنائها أحبار ورجال دين، فضلاً عن وجود نصراني كثيف في شمالي الجزيرة العربية والعراق ونجران ومناطق أخرى من اليمن، وتجد عندها انتشاراً للغة اليونانية بين متبعي الكنائس الرومانية، لا سيما في المناطق العربية المحاذية لحدود الرومان، وتنتشر كذلك السريانية عند الآخرين، لأنها الوسيلة المثلى لمعرفة الكتاب المقدس. فيما انتشرت المجوسية في عمان والمناطق الجنوبية من اليمن، حيث تتداول اللغة الفارسية بعد أن تمكن الفرس من طرد الأحباش.

كانت مكة، مركز العرب الديني والتجاري الأول، تدين بالوثنية، فتحج القبائل العربية الوثنية إلى كعبتها، حيث تضع أصنامها التي بلغ عددها ثلاثمائة وستين صنماً(19)، وتؤمن قريش لها حماية الكعبة والآلهة، عبادة الإله الذي يختاره أفراد هذه القبائل دون تدخل، صوناً لمصالحها الاقتصادية والاعتبارية، ولتبقى مكة مثابة للقبائل العربية تحج إليها كل عام ببسر. وسط ذلك ظهرت رسالة الإسلام التي لم تقف قريش في وجهها إلا بعد أن بدأت تسفه الآلهة وترفض تعددها وتنادي بعبادة الإله الواحد المنزه عن التشبيه والتمثيل. ولم يشفع لهذه الرسالة تقديسها للبيت الحرام. فلقى المؤمنون بدين محمد (ص) العنت والأذى من قريش، عندما انتقضت بشدة وقسوة لحماية جاهها ومصالحها، لأن الإسلام برأى قريش، سيضعها في موضع السخرية أمام القبائل العربية الوثنية. فأدرك النبي (ص)، بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة، أن مكة لم تعد

المكان المناسب لنشر الإسلام، فاختار يثرب لأسباب من بينها، أن أهلها ليسوا ببيعدين عن دعوات التوحيد، من خلال الوجود اليهودي، إلى جانب إيمان عدد من سكانها من الأوس والخزرج بالنبي (ص) ومبايعته، في وقت وقد كانوا بحاجة للخلاص من الأوضاع الشاذة التي يعانون منها لا سيما تلك الحرب المشتعلة بينهم، بتحريض من اليهود. وهكذا تأسست دولة الإسلام في يثرب التي أصبح اسمها المدينة المنورة بعد أن وطئتها أقدام النبي (ص).

ومنذ وقت مبكر، كان للترجمان ومفهوم الترجمة حضور في قاموس الرسالة، إذ تضمنت آيات القرآن الكريم مفردات غير عربية، مثل: القسطاس، العدل بالرومية، والمشكاة: الكوة، والجبث: الشيطان، والطاغوت: الكاهن، وأواه: رحيم، وحصب: حطب، وناشئة الليل: قيام الليل، وقسورة: أسد. وكلها بالحيشة، وسجيل: حجارة طينية، ومقاليد: مفاتيح، وكورت غارت وذهب ضؤوها، باللغة الفارسية(20)، وغير ذلك الكثير، فيما تضمنت أول خطبة لرسول الله (ص) في المدينة، إشارة إلى مفردة الترجمان عندما نفى وجوده بين العبد وربه يوم البعث، فقال (ص):

"أما بعد: أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب..."(21).

ولا شك أن الرسول (ص) ودولته الجديدة كانا بأمر الحاجة على الترجمة ومعرفة اللغات الأخرى، بغية إدراك معاني الكتب التي ترد إليه من الملوك وزعماء القبائل وغيرهم بدقة، ولجيب عنها إجابات وافية من دون اطلاع ترجمان عليها فإن ذلك "أصون لسره وأبلغ في بلوغ مقاصده"(22)، ولجيب عنها بلغتها الأصلية التي وردت بها "فإن في ذلك وقعاً في النفوس واستجلاباً للقلوب وصوناً للسر"، كما أن الإمام بالأسن من شأنه تعريف النبي (ص) بلغات أتباعه وجيرانه من الأمم والعقائد الأخرى، والتقرب إليهم ليتعرف همومهم وما يدور بينهم من خير وشر، "وليكون أقرب على حصول قصده من فهم الخطاب وتفهمه وسرعة إدراك ما يلقي إليه من ذلك وتأدية ما يقصد تأديته منه مع ما يحصل له من الحظوة والتقريب بالموافقة في اللسان فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه"، كما عبر عن ذلك الفلقشندي(23)، علماً أن من بين سكان المدينة أهل الكتاب، ونمهم اليهود، الذين عرفوا بالمكر

والدهاء، مع ما يحتمه ذلك من تعامل يومي معهم، فلقد حدثت وقائع عديدة بين النبي (ص) واليهود، كانت الحاجة إلى معرفة لغة أهل الكتاب حاضرة، منه ما يورده ابن حزم من "أن اليهود استجاوزوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية، وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال لا يفهمون إلا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها"(24)، فضلاً عن أنهم كانوا يشتمون المسلمين بألفاظ تدل معانيها في لغتهم على الشتيمة، لكن معناها في العربية يدل على الاحترام، فنزل قوله تعالى: "راعنا"(25)، - حسب القزويني - الذي قال:

"يحتمل راعنا نكلمك، أي: ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتساجون بها (اليهود)، وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزاءً برسول الله بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والاحترام"(26).

كما كانوا يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين، الأمر الذي يشكل بنظر النبي (ص) خطورة فكرية على دولته الناشئة، فالتجأ إلى اتخاذ وسائل دفاع سلبية عندما دعا أصحابه على عدم تصديقهم أو تكذيبهم، فقال (ص): "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم. (الآية البقرة، 136)" (27).

وكان يمكن لذلك كله أن لا يحصل لو كان المسلمون على علم ودراية بلسان الأمم والجاليات المحيطة بهم، كما هو حال الرسول؟ ولكن هل يعني هذا أن له (ص) معرفة بلغات الأمم الأخرى مخاطبة ومكاتبه؟

أما مكاتبه فلم يثبت بما لدينا من إشارات تاريخية معرفة الرسول (ص) بها أو بغيرها، فهو لا يعرف الكتابة، إلا أنه تتوافر إشارات، مفادها معرفة النبي (ص) ببعض اللغات محادثة، منها ما روي عن عبد الله بن عباس الذي سئل يوماً، هل تكلم رسول الله بالفارسية قال: "نعم دخل عليه سلمان فقال له" درستة وسادته قال محمد (ص) بت أميل، أظنه مرحباً وأهلاً"(28).

كما نقل عن النبي (ص) أحاديث كثيرة تضمنت مفردات غير عربية، تبين إطلاعه على

لغات الأمم الأخرى، منها، ما رواه البخاري منقولاً عن جابر بن عبد الله، الذي قال: "قلت ثم يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر. فصاح النبي (ص)، يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً، فحي هلا بكم" (29). كما يروى عنه أنه وصف الزمن الذي تقوم به الساعة، فقال (ص): "ثم يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا يا رسول الله أيما هو، قال القتل ثم مثله. والهرج بلسان الحبشة القتل" (30). وقوله (ص)، يصف جمال بعض الثياب: "سنه سنه... وهي حسنة بالحبشية" (31). والأكثر من هذا، أن هناك من يرى أن الرسول، الذي أرسل إلى الأمم كافة لا بد وأن يعرف اللغات كافة، وفيه ما نقل عن محمد بن عمر المدائني قوله: "بل قد قيل بأن النبي كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهم عنهم ولذلك كلم سلمان بالفارسية" (32). وهو أمر ليس ببعيد، ذلك أن معرفته (ص) للألسن واللغات ضرورة من ضرورات النبوة وشروطها، لكن حكمة الله سبحانه وتعالى شاعت أن يتخذ ترجماناً يكتب له بلغات الأمم الأخرى، كما اتخذ من قبل ذلك كتاباً بلغة العرب، وإذا تركنا الكتابة جانباً، فاللغات التي تعلمها بعض الصحابة في أسبوعين، على حد قول الصحابي زيد بن ثابت (33)، لا يعقل أن لا يتمكن (ص) بما أوتي من ذكاء وقوة بصيرة فضلاً عن الإلهام الإلهي، من تعلمها في المدة نفسها أو أقل من ذلك. في وقت كان (ص) على اتصال بعدد لا بأس به ممن يعرف الألسن سواء من العرب أو من الأعاجم المقيمين في مكة والمدينة أو الذين كانوا يعملون خدماً في منازلهم وهم في الغالب من أهل الكتاب، مثل ورقة بن نوفل (34) وياسر جببر الصقلبيين ويعيش غلام بني المغيرة أو بني الحضرمي، وبلغام ويوحنا اليونانيان، وابن ميسرة، وبلال بن رباح الحبشي، وأبي بن كعب (35)، فعلى سبيل المثال كان صهيب الرومي من أوائل صحابة النبي (ص) في مكة، وهو ممن يتقن الفارسية والرومية بحكم كون أبيه، أو عمه، في رواية، عاملاً لكسرى على الأبله ثم سبته الروم في غارة فجاء مكة التي هرب إليها أو أن بني كلب باعته على عبد الله بن جدعان

الذي أعتقه(36). كما نقل عن سلمان الفارسي أنه عندما قدم على الرسول (ص) في العام الخامس للهجرة وجد أمامه عائلة فارسية كاملة أسلمت قبيل مجيئه(37).

لم يعين الرسول (ص) من بين أصحابه من يتولى أمر الترجمة، حتى العام الرابع للهجرة(38)، فاختار من بين أبناء الأنصار ومن بني النجار تحديداً، فتى من اشد الناس ذكاءً، يسمى زيد بن ثابت، لم يتجاوز عمره السادسة عشرة حفظ الكثير من سور القرآن، فكلفه بأن يتعلم الكتابة باللغة العبرانية، ليتولى الإجابة عن رسائلهم؛ وفي ذلك ينقل البخاري قول زيد:

"أن النبي أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبي كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه"(39).
أو قوله:

"قال لي رسول الله إنه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم قال فتعلمتها في سبع عشرة ليلة(40-41).
وينقل عن ثابت بن عبيد قوله:

"بأن من لازم تعلم كتابة اليهودية تعلم لسانهم ولسانهم السريانية"(42).
وهو أمر مردود إذ أن المعروف أن لسان اليهود هو العبرية وليس السريانية، وقد استبعد البخاري نفسه ذلك الحديث ولم يأخذ به، لوروده عن "رجل ضعيف(43) ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث"(44).

وهكذا دفعت الضرورة النبي (ص) لتكليف زيد بتعلم الكتابة العبرانية وفي هذا الوقت بالذات، لعدم وجود مسلم يجيد العبرية محادثة وكتابة، فيما كان زيد ممن تعلم كتابة العربية على يد أسرى بدر، الذين اقتدوا أنفسهم بتعليم عشرة من أولاد الأنصار(45)، في وقت كان (ص) على ما يبدو، يستعين بمن لا يثق بهم، من غير المسلمين، لكتابة رسائله التي يرسلها بالعبرية. وهو ما نلتمسه في قول زيد السابق، "لا أحب أن يقرأها أحد". أو قوله "لا آمنهم أن يبذلوا كتاب". فاختار (ص) زيدا كونه من بني النجار القريبين من يهود المدينة، وربما رأى فيه قدرة على التحدث بالعبرية التي تعلمها بفعل الاحتكاك اليومي مع صبيانهم وإمكانية الكتابة بالعبرية(46)، فاختاره لتعلم كتابة العبرية، فتعلمها في خمسة عشر يوماً. ليصبح ترجمان النبي وكتابه.

وفي العام الخامس للهجرة وبينما كان المسلمون يتهيأون لمواجهة قريش والأحزاب التي اجتمعت معها، برزت من بين صفوفهم شخصية فذة ومحكمة، شهد لها النبي (ص) بالعلم الغزير(47)، وهو سلمان الفارسي، الذي اقترح على النبي (ص) حفر الخندق لمواجهة تفوق المشتركين العددي وليؤمن للمسلمين طريقة دفاعية مبتكرة لم يكن العرب على علم بها قبل ذلك، كما وكان لسلمان معرفة بالأمم الأخرى وألسنتها، ولهذه الصفات فقد صيغت حول شخصيته الروايات الأسطورية(48)، فهو في الأصل فارسي من رامهرمز وقبل من أصبهان ويقال: إنه عندما سمع بأن النبي سيبحث خرج في طلبه فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق حتى كانت الخندق أول مشاهده، وروى البخاري في صحيحه، عن سلمان: "أنه تداوله بضعة عشر سيذا"(49)، لم يكونوا جميعهم من العرب(50). إذ جاء الموصل وصاحب أحد رهبانها الذي عرفه قبيل وفاته على راهب آخر يسكن "على درب الروم"، ودله هذا بدوره (قبيل وفاته أيضاً!) على النبي (ص)، وبينما هو يسأل عنه أخبره أحدهم مقابل أن يستعيده، إلا أنه عندما وصل إليه (ص) وتعرف عليه أعطاه ما يشتري به نفسه من مالكة(51). وهذا هو الموضع الذي قصده ابن عباس عندما قال إن الرسول (ص) كلم سلمان بالفارسية، ليصبح من أقرب الصحابة للنبي (ص). والرواية الأصلية بحاجة إلى الكثير من التمهيص لا سيما ما يرد فيها من أن سلمان لم يكن يتقن من العربية شيئاً، في وقت تناقض الرواية نفسها عندما تتحدث عن أنه أقام زمناً على تخدم الجزيرة العربية يسأل القادمين منها عن النبي الجديد.

وبعد أن فرغ النبي (ص) من الحديبية(52)، أراد أن يختار من أصحابه مبعوثين إلى ملوك الدول المجاورة يدعوهم للإسلام وكان من الضروري أن يختار لهذه المهمة أشخاصاً غير بعيدين عن الأمم التي يرسلهم إليها. وربما لهم معرفة بلسانها، على الرغم من أنه لا أحد من المؤرخين يشك في أن رسائل النبي (ص) إلى الملوك كانت بالعربية وأن الذي قرأها للملوك تراجمتهم(53). إلا أن قرب الرسول من المرسل إليه ومعرفته بشؤونه يسهل عليه مهمته.

فاختار (ص) معظم رسله من القبائل القريبة من الأمم التي أرسلوا إليها ولا يخلو من مغزى في هذا الصدد أن ترجمان كل من رستم وسعد بن أبي وقاص قبيل معارك فتح العراق، كانوا من

البلدان العربية التي يسيطر عليها الفرس(54).

فقد أرسل دحية بن خليفة الكلبي القضاعي إلى قيصر، وهو من بني كلب التي تقع ديارهم قرب مدينة معان الحالية في الشام القريبة من الروم(55). وإلى المقوقس أرسل حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وهو من لحم التي تقع ديارهم جوار أهل مصر والقيط، كما يقول السيوطي(56)، وكان تاجراً في الطعام ومن الرماة الموصوفين ومشهوراً بين المسلمين بحسن الخلق(57). وإلى النجاشي عمرو بن أمية من ضمرة الذين يسكنون الأبداء على ساحل البحر الأحمر(58).

فيما يروي البخاري أنه (ص) أرسل رسالته إلى كسرى عن طريق عامله على البحرين وعظيمها المنذر بن ساوى، بعد أن حملها له عبد الله بن حذافة السهمي(59)، والذي ما أن وصلت الرسالة حتى كتب إلى باذان عامله على اليمن أن يحضر النبي (ص) أمامه، وبدوره بعث باذان قهرمانه بأبويه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخره⁶⁰، وانتهى الأمر بإسلام باذان وجميع أتباعه الموجودين في اليمن (الأبناء). كما حققت بعثات النبي (ص) الأخرى نتائج جيدة، لا سيما مع مقوقس مصر، ونجاشي الحبشة، فشجع وجود رسل كسرى زيداً على تعلم الفارسية، بعد أن أدرك أن طريق الترجمة سيحقق له حضوراً وتميزاً في مجتمع النبوة إلى جانب كبار الصحابة، وسيؤهله للاضطلاع بمهمات جسيمة في المستقبل، فعلى الرغم من أن مهمة الترجمان ليست باليسيرة، إذ إن تميزه ربما يجعله شريكاً للسلطان في أسرار، لا سيما مع الأمم الأخرى، وقد يؤدي به ذلك أيضاً إلى فقدان حياته ثمناً لمعرفة هذه الأسرار، وشواهد التاريخ في هذا المجال كثيرة(61). فضلاً عن أن الترجمان عادة ما يكون في الصفوف الأمامية للجيوش المتحاربة، أو في مقدمة الوفود المرسلة إلى التفاوض بينهم حتى وإن كان بين الوفد الآخر ترجمان(62). مع كل هذا سار قدماً في تعلم اللغات الأخرى، فاستثمر وجود رسل باذان في المدينة ليتعلم الفارسية منهم في ثمانية عشر يوماً، وذلك في العام السابع للهجرة(63).

كما تعلم الحبشية والرومية والقطبية وربما السيريانية من خدام رسول الله وصحابته(64). الذين

كانوا يتزايدون كلما تقدم المسلمون في غزواتهم، حتى عرف عن زيد مرافقته لبعض الصحابة من أبناء الأمصار مثل أبي يسار زيد بن بولا وهو من بلاد النوبة(65)، وعبد الرحمن بن شماسه المهري(66). وأبي هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي الذي قدم على رسول الله (ص) في السنة السابعة للهجرة ورافقه(67)، وكان يعرف الحبشية(68).

وعندما بدأت الفتوحات الإسلامية، كان دور الترجمان حاضراً فيها، لا سيما ما يتعلق بالتجسس الحربي وما يتبعه من اتصال بالأهالي ورعايا الدول من الأمم المجاورة التي استهدفتها الفتوحات، وكذلك ما يتعلق بالمفاوضات مع العدو، فلقد اتخذ سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الإسلامي في القادسية هلال الهجري ترجماناً لجيشه(69). وكانت قضية أمانة الترجمة حاضرة أمام المغيرة بن شعبة مندوب الجيش الإسلامي إلى رستم قائد الجيش الساساني، الذي ذهب للقاء ولم يأخذ معه ترجماناً من المسلمين، والسبب في ذلك على ما يبدو عدم وجود ترجمة آخرين في جيش سعد غير هلال، على أن أمر التفاوض لم يكن بالحسبان لأنه جاء بطلب من رستم، وربما كان للعقلية العربية دورها في ذلك، إذ تفترض أن الذي يريد التفاوض عليه أن يهيئ الترجمان. وهكذا طلب المغيرة من الترجمان، واسمه عبود، وهو عربي من أهل الحيرة(70)، أن يكون أميناً في ترجمته، فقال:

"ويحك يا عبود أنت رجل عربي فأبلغه عني إذا أنا تكلمت كما تبلي عني عنه"(71).

ويبدو من هذه العبارة أن المغيرة لم يكن متمكناً من الفارسية على الرغم من أن أخباراً أخرى، مفادها أنه تولى الترجمة بين الخليفة عمر بن الخطاب والقائد الفارسي الهرمزان الذي اقتنيد إلى المدينة أسيراً خلال فتوح العراق إلى أن حضر زيد بن ثابت ليترجم بينهما(72). والواقع أن المصدر نفسه أشار على أن المغيرة كان يفقه شيئاً من الفارسية لا غير، مع هذا فيبدو أن معرفته هذه، هي التي أهلتها ليكون في ذلك الوفد.

وكان لمعرفة سلمان الفارسي اللغة الفارسية ومعرفته بأحوال بلاد فارس دور فاعل في قيادة جيوش الفتح ومعاركه، ففي إحدى المعارك وبينما كان جيشه يحاصر قصرًا من قصور فارس كان يرطن إليهم بالفارسية موضعاً لهم شروط الإسلام وتسامحه راجياً منهم أن يهتدوا ولما يؤس

منهم دعا أصحابه للهجوم ففتحو ذلك الحصن(73). وشكلت هذه الفتوحات من جانب آخر . نقلة ثقافية جديدة في حياة الدولة الإسلامية، فضلاً عما تقدم، حاول سعد بن أبي وقاص أن يحصل على موافقة الخليفة عمر على نقل أعداد كبيرة من كتب الفلسفة والحكمة الفارسية التي عثروا عليها أثناء الفتح إلى العربية وتلقينها للمسلمين لما فيها من فائدة، لكن محاولته فشلت عندما رفض الخليفة، إذ يروي ابن خلدون أنه:

"لما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة، كتب سعد ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتلقينها للمسلمين، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ضللاً، فقد كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا"(74).

وللأمانة العلمية فإن البحث يبين، أن ابن خلدون انفرد بذكر هذه الرواية، وهو على حد علمنا أقدم المؤرخين الذين ذكروها، وأن صاحب كشف الظنون، والقنوجي صاحب أبجد العلوم، الذين ذكروا الحادثة أيضاً، نقلوها عنه حرفياً(75). واصفاً سلوك العرب بأنهم، بعد انتصارهم وظهورهم على الأمم "ابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع". وهذه المحاولة إذا صحت فإنها تدل على إدراك عربي مبكر لأهمية الترجمة في حياة الأمم كونها تؤمن الاتصال بالأمم الأخرى، ولو لم يحصل ما حصل لهذه الكتب، وتم للعرب ترجمتها لوصلتنا علوم كثيرة كانت خلاصة تجارب علمية وجدالات فكرية استمرت قروناً(76). والأمر نفسه حصل عندما تلقى عمر كتاب عمرو بن العاص قائده على مصر يستفسر منه بعد تسليم الإسكندرية ماذا عساه أن يفعل بمكتبتها الشهيرة، فكتب إليه الخليفة:

"وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها (وهي مضرة) فنقدم بإعدامها". وبحسب هذه الأسطورة حكم على محتويات تلك المكتبة التي تجمعت طوال تسعمائة عام أن تحرق وتكون وقوداً للحمامات العامة"(77).

وتذكر المصادر التاريخية أن أشد ما كان يخشاه عمر على المسلمين هو أن اختلاطهم

بالأمم الأخرى سيفسد ألسنتهم وطبائعهم، حتى إنه نهى المسلمين عن أن يتخذوا بطانة من الأعاجم قائلاً "إنها خب أي مكر وخديعة" (78)، كما تذكر المصادر أنه منع بعضهم من التحدث بالفارسية فيروى، أنه بينما كان يطوف في الكعبة؛ سمع رجلين يتكلمان بالفارسية، فأمرهما أن يتحدثا بالعربية وقال، "من تعلم بالفارسية خب ومن خب ذهب مروعته" (79). وربما كان لمنع الرسول (ص) لعمر أن لا يتمسك إلا بالقرآن، أثر في حرجه هذا، فقد جاء عمر يحمل بيده ورقة من التوراة، فلما رآه النبي (ص) تبين الغضب في وجهه، ونهره عن حملها، ثم قال:

"ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي" (80).

وكما شغلت قضية الترجمة المسلمين في عصر الإسلام الأول، فقد شغلته في مرحلة تدوين الفقه، فاختلقت المذاهب في عدد المترجمين الذين يترجمون للحاكم، فقد خصص البخاري لذلك باباً سماه "باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد" (81)، وينقل عن أبي جمره الذي كان يترجم بين ابن عباس وبين الناس: أن بعض الناس قالوا لا بد للحاكم من مترجمين (اثنين) (82).

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

جدول بأسماء الذين يعرفون اللغات الأخرى أيام النبي (ص).

الرومية	العبرانية	الفارسية	الحبشية	السريانية
صهيب الرومي ¹ سير أعلام النبلاء ج2، ص20	ورقة بن نوفل الأغاني ج3، ص114	النبي محمد (ص) صبح الأعشى ج1، ص203	بلال الحبشي حاشية السندي ج6، ص252	زيد بن ثابت فتح الباري ج13، ص186
سلمان الفارسي حلية الأولياء ج1، ص190	يعيش أبي فكيهة (عبد بني الحضرمي) تفسير الطبري ج14، ص179	صهيب الرومي سير أعلام النبلاء ج2، ص20	أبو هريرة صحيح البخاري ج5، ص2177	
عداس (غلام عتبة بن ربيعة) تفسير القرطبي ج10، ص177	عبد الله بن سلام سير أعلام النبلاء ج2، ص413	سلمان الفارسي صحيح البخاري ج3، ص1435	زيد بن ثابت البداية والنهاية ج8، ص29	
يسار أو نيت الصقلبي تفسير القرطبي ج10، ص177	سلمان الفارسي بحار الأنوار ج19، ص105	زيد بن ثابت البداية والنهاية ج8، ص29		
جبير أو جبر الصقلبي (مولى الفاكه بن المغيرة) تفسير الطبري ج14، ص177-178	زيد بن ثابت صحيح البخاري ج5، ص150	المغيرة بن شعبة ² تاريخ الطبري ج2، ص205		
بلعام تفسير القرطبي ج10، ص177-178		الأبناء في اليمن الطبقات الكبرى ج5، ص533		

¹ الأسماء المكتوبة بالخط المائل أدركت الرسالة منذ العهد المكي.

² على الرغم من أنه من القرشيين وأسلم قبل الفتح، لكن الواضح أنه تعلم شيئاً من الفارسية فيما بعد.

الهوامش والتعليقات:

1. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986). والكتاب في الأصل رسالة دكتوراه قدمت على جامعة القاهرة.
2. يراجع على سبيل المثال: يوسف حبي، حنين بن إسحاق (بغداد، 1974)؛ الشحات السيد زغلول، السريان والحضارة الإسلامية (القاهرة: 1970)؛ أحمد عيسى التهذيب في أصول التعريب (القاهرة، 1923).
3. نقلاً عن: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1979) الجزء الأول، ص186؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت721هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1995) الجزء الأول، ص99.
4. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت 711هـ)، لسان العرب (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ) الجزء الثاني عشر، ص229.
5. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1968) الجزء الرابع، ص201.
6. ابن حوقل، أبو القاسم محمد (ت 380هـ)، المسالك والممالك والمفاوز والمهالك (صورة الأرض) (بيروت: مكتبة الحياة، 1963) ص29.
7. يراجع لمزيد من التفصيل: علي، المصدر السابق، ج4، ص161.
8. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطباعة العامة، 1958). الجزء الثاني، ص58.
9. محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق (ت بعد 244هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: وستفيلد (الليبنغ، 1858)، الجزء الخامس، ص181؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي (ت 292هـ)، تاريخ يعقوبي (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ) الجزء الأول، ص244؛ محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت 310هـ)، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987) الجزء الأول، ص504، علي، المصدر السابق، ج8، ص195.
10. يمكن الإطلاع على القصة كاملة في: تاريخ الطبري، ج2، ص128-130؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت 774هـ)، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف 1966) الجزء الرابع، ص264. وتشهد المصادر التاريخية لأبي سفيان بمعرفة تفصيلية بطرق التجارة مع العراق والشام، وهو ما نقرأه خلال غزوة بدر وتعرض النبي (ص) لقاقلته. يراجع: تاريخ يعقوبي، ج2 ص70.
11. البداية والنهاية، ج4، ص167.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

12. أبو الفرج الأصفهاني (ت 356)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر، 1958).
الجزء السادس عشر، ص 89-90.
13. محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992) الجزء الأول، ص 432.
14. تاريخ الطبري، ج 1، ص 445.
15. اختلفت المصادر التاريخية حول سيرته وزمنه، فزعمت بعضها أن ابنته أدركت النبي (ص) وأسلمت. يراجع في ذلك: مطهر بن طاهر المقدسي (ت 355هـ)، البدء والتاريخ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ) الجزء الثالث، ص 134-135، البداية والنهاية ج 2 ص 211؛ أحمد بن علي حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاي (بيروت: دار الجيل، 1992) الجزء الثاني، ص 369.
16. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الخامسة (بيروت: دار القلم، 1984) ص 351. يراجع للتفاصيل عنهما: تاريخ الطبري، ج 1 ص 503-525.
17. مقدمة ابن خلدون، ص 480؛ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (حاجي خليفة) (ت 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992) الجزء الرابع، ص 412.
18. يراجع الجدول المرفق بالبحث.
19. أبو النعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الرابعة (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985) الجزء الثالث، ص 212؛ البداية والنهاية، ج 4، ص 302.
20. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر - صحيح البخاري - تحقيق: مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة (بيروت: دار ابن كثير - اليمامة، 1987) الأجزاء الأول والثالث والرابع والسادس، الصفحات 823 و 188 و 1222 و 1673 و 1770 و 2749؛ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، 1985) الجزء الثاني عشر، ص 95 والجزء الخامس والعشرون، ص 13 والجزء الثلاثون، ص 64.
21. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، 1990) الجزء الثالث، ص 30.
22. أحمد بن علي القلقشندي (ت 821)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق: يوسف علي طويل (دمشق: دار الفكر، 1987) الجزء الأول، ص 202.
23. المصدر نفسه، ج 1، ص 204.

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

24. علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد (ت 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام (القاهرة: دار الحديث، 1984) الجزء الأول، ص37.
25. وردت اللفظة بالمعنى نفسه مرتين في القرآن الكريم: البقرة، 14؛ النساء، 46.
26. جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الطبعة الرابعة (بيروت: دار إحياء العلوم، 1998) ص350.
27. صحيح البخاري، ج4، ص1630.
28. صبح الأعشى، ج1، ص203.
29. صحيح البخاري، ج3، ص1117. والسورة بالفارسية هي المأذبة.
30. المصدر نفسه، ج6، ص2590.
31. المصدر نفسه، ج3، ص1117.
32. المصدر نفسه، ج1، ص204.
33. سننناش هذه الأحاديث لاحقاً.
34. تنصر ورقة في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني من الإنجيل. صحيح البخاري، ج1، ص4؛ الأغاني، ج3، ص114.
35. اختلف المفسرون في أسماء هؤلاء. يقارن: تفسير الطبري، ج14، ص177-179؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الشعب، 1953) الجزء العاشر، ص177-178. وأصل بلال بن رباح الحبشي من جنوب الصعيد في بلاد السودان. يراجع: نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي (ت 1138هـ)، حاشية السندي على النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1986) الجزء السادس، ص252.
36. سير أعلام النبلاء، ج2، ص20.
37. حلية الأولياء، ج1، ص191-194.
38. المنتظم (حتى 257هـ)، ج5، ص150.
39. صحيح البخاري، ج6، ص2631.
40. ويروى أنه قال: "تعلمته في خمسة عشر يوماً". البداية والنهاية، ج4، ص91.
41. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ) الجزء الثاني، ص357-853. وفي رواية: "قال لي رسول الله يا زيد تعلم كتاب يهود فإني والله لا آمن يهود

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- على كتابي قال فتعلمت كتابتهم فما مر لي ست عشرة ليلة حتى حذفته فكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب إذا كتب"، وفي رواية العبرانية بدل السريانية، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992) الجزء الخامس، ص214.
42. نقلاً عن: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، 1960) الجزء الثالث عشر، ص187.
43. هو عبد الرحمن بن أبي الزناد. المصدر نفسه، ج13، ص187.
44. المصدر نفسه، ج13، ص187، وهناك من يرى أن النبي (ص) أمره أن يتعلم اللغتين معاً. المصدر نفسه، ج13، ص186.
45. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994) الجزء السادس، ص124؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1255هـ)، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منقّى الأخبار (بيروت: دار الجيل، 1973) الجزء التاسع، ص189.
46. المنتظم، ج5، ص214. وعن معرفته للعبرانية منذ طفولته، يراجع: البداية والنهاية، ج2، ص268.
47. كما روي عن النبي (ص) أنه قال لأبي الدرداء "سلمان أفقه منك". كما أن علياً (ع) قال فيه: قال من لكم بمثل لقمان الحكيم ذاك امرؤ منا وغليتنا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر بحر لا ينزف. حلية الأولياء، ج1، ص187.
48. ويقال إنه أدرك عيسى بن مريم وقيل بل وصي عيسى ورويت قصته من طرق كثيرة من أصحابها ما أخرجه أحمد من حديثه وأخرجها الحاكم من وجه آخر عنه أيضاً ومن حديث بريدة وعلق البخاري طرفاً منها وفي سياق قصته في إسلامه اختلاف يتعسر الجمع فيه، منها ما صرح به الذهبي الذي قال "وجدت الأقوال في سنه كلها دالة على أنه جاوز المائتين وخمسين ثم رجعت عن ذلك وظهر لي أنه ما زاد على الثمانين"، لكن إن ثبت ما ذكره يكون ذلك من خوارق العادات في حقه وما المانع من ذلك فقد روى أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من طريق العباس بن يزيد قال أهل العلم يقولون عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيها. الإصابة، ج3، ص141.
49. البخاري، ج3، ص1435.
50. تراجع قصته مع الإسلام في: حلية الأولياء ج1، ص190 فما فوق.

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

51. المصدر نفسه، ج1، ص190 وما بعدها.
52. يقول خليفة بن خياط كان ذلك سنة خمس للهجرة، نقلاً عن: سير أعلام النبلاء ج: 2 ص: 555، فيما يقول الطبري بين الحديبية ووفاته. ثم يحددها أكثر فيقول أنه أرسل الرسل في ذي الحجة من العام السادس. تاريخ الطبري، ج2، ص128. ولا يتقاطع هذا التاريخ مع ما يذكره الواقدي بقوله: "قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضيت". نقلاً عن: المصدر نفسه، ج2، ص134. لأن الأمر الأخير يتعلق برسول كسرى للنبي (ص).
53. فتح الباري، ج13، ص516. إن ترجمان قيصر مثلاً، هو الذي قرأ عليه كتاب النبي (ص).
54. سير ذكرهم في ما بعد.
55. يقارن: تاريخ الطبري، ج2، ص128؛ ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان (بيروت: دار الفكر، بال تاريخ) الجزء الأول، ص406؛ سير أعلام النبلاء، ج2، ص550؛ البداية النهاية، ج4، ص271؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998) الجزء الأول، ص167؛ شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، الطبعة الثالثة (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1985) ص29. ويقال أنه لما رجع من عند قيصر وجد رسل كسرى عند الرسول.
56. المزهري، ج1، ص167.
57. سير أعلام النبلاء ج2، ص43، ولم يرد أي ذكر للترجمان في حديثه مع المقوقس خلال قصته التي رواها بنفسه والتي نقلتها كتب التاريخ. تراجع القصة مثلاً: أبو عبد الله محمد بن عمر واقد الواقدي (ت 208هـ)، فتوح الشام (بيروت: دار الجبل، بلا تاريخ) الجزء الثاني، ص42؛ تاريخ الطبري، ج2، ص128؛ عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ) الجزء الأول، ص37.
58. تاريخ الطبري، ج2، ص128؛ معجم البلدان، ج1، ص411.
59. يقارن: البخاري ج4، ص1610؛ الطبري، ج2، ص128. ولا بد أن سلمان الفارسي أو غيره من الصحابة هم الذين أشاروا على الرسول (ص) أن لا يرسل أحد المسلمين على بلاط كسرى، لمعرفةهم بغروره وعنجهيته فأرسلها عن طريق ابن ساوى، وبالفعل مزق كسرى كتاب النبي (ص).
60. كتب باذان إلى الرسول الله يأمره بالانصراف معهما إلى كسرى ولما قدما عليه وكلماه بالأمر قال (ص) أرجعا حتى تأتياي غداً وأتى رسول الله الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله، فدعاها فأخبرهما الخبر كما أخبرهما أن الإسلام سيمتد على بلاد كسرى ويملكها، داعياً إياهم وسيدهم باذان للإسلام على

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- أن يعطيه ما تحت يديه، كما أرسل النبي (ص) هدية منطقة (حزام) من الذهب والفضة لبازان. فخرجا فأخبرا
بازان الخبر هذا الانتظار ليتبين الأمر، ولم ينشب بازان أن قدم عليه كتاب شيرويه فاسلم ومعه الأبناء من
فارس. تاريخ الطبري، ج2، ص133.
61. تكرر قتل الملوك لتراجمتهم في لقاءات الفرس والروم. يراجع مثلاً: المصدر نفسه، ج1، ص469.
62. يراجع: المصدر نفسه، ج4، ص141.
63. البداية والنهاية، ج8، ص29. وبالفعل لقد شجعت قدرات زيد الذهنية الخلفية أبا بكر الصديق، على اختياره من
بين كل الصحابة لتكليفه بمهمة جمع القرآن الكريم، بعد معركة اليمامة الشهيرة. يراجع للتفاصيل: صحيح
البخاري، ج4، ص1720 و1907 و1913 و1943.
64. البداية والنهاية، ج8، ص29.
65. أصابه النبي (ص) في غزوة بني ثعلبة في العام السادس للهجرة فأعتقه. الإصابة، ج2، ص592.
66. من ثقافة المصريين صحب زيد بن ثابت زماناً. مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص119.
67. سير أعلام النبلاء، ج2، ص436؛ البداية والنهاية، ج8، ص103؛ الإصابة ج3، ص287.
68. صحيح البخاري، ج5، ص2177؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق:
محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار التراث العربي، بلا تاريخ) الجزء الرابع، ص1743.
69. تاريخ الطبري، ج2، ص386. وهجر من أعمال البحرين.
70. تراجع خطبتا ربعي بن عامر والمغيرة بن شعبة في حضرة رستم: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في
عصور العربية الزاهرة (بيروت: المكتبة العلمية، بلا تاريخ) الجزء الأول، ص242.
71. تاريخ الطبري، ج2، ص404.
72. المصدر نفسه، ج2، ص502.
73. يراجع للإطلاع على قصة الفتح: حلية الأولياء، ج1، ص189.
74. مقدمة ابن خلدون، ج1، ص480.
75. تراجع النصوص في: كشف الظنون، ج1، ص679؛ صديق بن حسن القنوجي (ت 1307هـ)، أبجد العلوم
الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار (بيروت: دار الكتب العلمية، 1978) الجزء
الأول، ص261؛ الجزء الثاني، ص250.
76. لم تكن هذه أول مرة تستولي أمة على تراث فارس، بل يروى أن الإسكندر المقدوني عندما هزم الفرس وقتل
ملكهم دارا استولى على كتبهم وعلومهم مما لا يأخذه الحصر. مقدمة ابن خلدون، ج1، ص480.
77. نقلاً عن: أرنولد ج. توينبي، بحث في التاريخ، تحرير: د. سي. سمرقل، ترجمة: طه باقر (بغداد: مطبعة وزارة

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- المعارف، 1955) الجزء الثاني، ص231.
78. مقدمة ابن خلدون، ج1، ص379.
79. حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني (ت 345)، تاريخ جرجان، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان (بيروت: عالم الكتب، 1981) الجزء الأول، ص426.
80. مقدمة ابن خلدون، ج1، ص436.
81. صحيح البخاري، ج6، ص2631؛ ويراجع كذلك: نيل الأوطار، ج9، ص189.
82. في الحديث جواز ترجمة واحد، قال ابن بطلال: أجاز الأكثر ترجمة واحدة. وقال محمد بن الحسن: لا بد من رجلين، أو رجل وامرأتين، وقال الشافعي هو كالبينة، وعن مالك روايتان. ونقل الكرابيسي عن مالك والشافعي: الاكتفاء بترجمان واحد. وعن أبي حنيفة: الاكتفاء بواحد. وعن أبي يوسف: باثنين. وعن زفر (اليهود) لا يجوز أقل من اثنين. وقال الكرمانى: لا نزاع لأحد أنه يكفي ترجمان واحد ثم الإخبار وأنه لا بد من اثنين ثم الشهادة فيرجع الخلاف إلى أنها أخبار أو شهادة فلو سلم الشافعي أنها أخبار لم يشترط العدد ولو سلم الحنفي أنها شهادة لقال بالعدد. وقال ابن المنذر: القياس يقتضي اشتراط العدد في الأحكام لأن كل شيء غاب الحكم لا تقبل فيه إلى البينة الكاملة والواحد ليس ببينة كاملة حتى يضم إليه كمال أن الحديث إذا صح سقط النظر. وفي الاكتفاء بـ (زيد بن ثابت) وحده، حجة ظاهرة لا يجوز خلفها. نيل الأوطار، ج9، ص189.

مصادر البحث

أ. المصادر الأولية

القرآن الكريم

1. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992).
2. ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد (ت 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام (القاهرة: دار الحديث، 1984).
3. ابن حوقل، أبو القاسم محمد (ت 331هـ)، المسالك والممالك والمفاوز والممالك (صورة الأرض) (بيروت: مكتبة الحياة، 1963).
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ)، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الخامسة (بيروت: دار القلم، 1984).
5. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى (بيروت: دار

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

- صادر، بلا تاريخ).
6. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد الدمشقي العكري (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ).
 7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء (ت 774هـ)، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، 1966).
 8. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت 711هـ)، لسان العرب (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ).
 9. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعامزي أبو محمد (ت 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، 1990).
 10. الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت بعد 244هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: وستفيلد (ليبنغ، 1858).
 11. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الرابعة (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985).
 12. الأصبهاني، أبو الفرج (ت 356هـ)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر، 1958).
 13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر - صحيح البخاري -، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة (بيروت: دار بن كثير - اليمامة، 1987).
 14. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت 458هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994).
 15. الجرجاني، حمزة بن يوسف أبو القاسم (ت 345هـ)، تاريخ جرجان، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان (بيروت: عالم الكتب، 1981).
 16. الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1979).
 17. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992).
 18. الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان (بيروت: دار الفكر، بلا تاريخ).
 19. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992).
 20. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 721هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: مكتبة

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

- لبنان ناشرون، 1995).
21. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998).
22. السندي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن (ت 1138هـ)، حاشية السندي على النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1986).
23. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1255هـ)، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار (بيروت: دار الجيل، 1973).
24. الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (ت 310هـ)،
 - تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987).
 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، 1985).
 25. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (ت 852هـ)،
 - الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، 1992).
 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، 1960).
26. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الشعب، 1953).
27. القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، الطبعة الرابعة (بيروت: دار إحياء العلوم، 1998).
28. القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل (دمشق: دار الفكر، 1987).
29. القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307هـ)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار (بيروت: دار الكتب العلمية، 1978).
30. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطباعة العامرة، 1958).
31. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت 355هـ) البدء والتاريخ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بلا تاريخ).
32. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار التراث العربي، بلا تاريخ).

التعريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

33. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت 208هـ)، فتوح الشام (بيروت: دار الجيل، بلا تاريخ).
34. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب جعفر العباسي (ت 292هـ)، تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار صادر، بلا تاريخ).

ب. المصادر الثانوية

1. أحمد عيسى، التهذيب في أصول التعريب (القاهرة: دار المعارف، 1923).
2. أرنولد ج. توينبي، بحث في التاريخ، تحرير: د. سي. سمرقل، ترجمة: طه باقر (بغداد: مطبعة وزارة المعارف، 1955).
3. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1968).
4. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة (بغداد: دار الشؤون العامة، 1986).
5. الشحات السيد زغلول، السريان والحضارة الإسلامية (القاهرة: 1970).
6. شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، الطبعة الثالثة (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1985).
7. صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (بيروت: المكتبة العلمية، بلا تاريخ).
8. يوسف حبي، حنين بن إسحاق (بغداد: مطبعة العاني، 1974).

التحريب العدد السادس والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2003

من أنشطة المركز

خلال النصف الثاني من العام 2003

تابع المركز في خلال هذه المدة تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة، وفي مقدمتها ترجمة الكتب والمراجع في مختلف مجالات العلوم الأساسية والبيئية والطبية والهندسية، فقد أصدر المركز في خلال هذه المدة الكتب الآتية:

1. علم العقاقير لـ تريز و إيفانز
2. محاضرات في الطب الجزيئي
3. التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

كما يجري العمل حالياً على مراجعة الكتب الآتية وتدقيقها تمهيداً لدفعها للطبع:

1. التقانات الحيوية من الألف إلى الياء
2. الاقتصاد الهندسي
3. نظم الطاقات المتجددة

علماءً بأن هذه الكتب هي من المراجع المهمة والمعروفة عالمياً على نطاق واسع في الأوساط الجامعية، كل في مجال تخصصه. كما أنها قد اختيرت للترجمة من عدة لغات أجنبية . الانكليزية والفرنسية والألمانية . بهدف تنويع المدارس العلمية وإغناء المكتبة العربية بالترجمات من مختلف مصادر العلم والمعرفة.

وفي إطار دعم الجامعات و الهيئات العربية في مجال التعريب، قام المركز بتلبية طلبات الجامعات العربية والهيئات التالية وتزويدها بنسخ كاملة من جميع إصدارات المركز:

1 - الجمعية المصرية لتعريب العلوم

2 - الهيئة العليا للتعريب في السودان

ومن أنشطة المركز خارج البرامج الفعاليات الآتية:

1. متابعة الاتصال بالمؤسسات الثقافية العربية والأجنبية الموجودة في دولة المقر للتعريف بالمركز وبإصداراته ونشاطاته، ولبحث سبل التعاون وتبادل الخبرات معها، وإمكان الحصول على دعم منها وبمختلف الأشكال.

2. مواصلة العمل على إقامة علاقات وثيقة مع مراكز ومؤسسات التعريب الموجودة في مختلف دول العالم بهدف التعريف بالمركز وبإصداراته ونشاطاته وتبادل المعلومات والخبرات.

3. السعي المستمر لإقامة الصلات مع الجاليات والرابطات العربية في خارج الوطن العربي، بهدف تعريفها بالمركز وإصداراته وأنشطته، وكذلك الاستفادة من دراسات المغتربين العرب وبحوثهم وإنجازاتهم في مجال عمل المركز.

4. متابعة العمل على الاتصال بالمتترجمين الأجانب من مختلف الجنسيات واللغات للاستفادة من قدراتهم وخبراتهم في الترجمة من العربية وإليها.

5. الاتصال بـ "مكتبة النيل والفرات" وعقد لقاء عمل مع المسؤولين عنها في بيروت لنشر إصدارات المركز عبر موقع هذه المكتبة المشهور عربياً وعالمياً على شبكة الانترنت بهدف الترويج لمطبوعات المركز وتسويقها ع/ط هذه المكتبة.

6. الاتصال بـ "الدار العربية للعلوم" في بيروت، وهي إحدى دور النشر المعروفة على مستوى الوطن العربي، وإجراء مباحثات مع مديرها حول توزيع إصدارات المركز وتسويقها من خلال مركزها الرئيسي في لبنان وفروعها في الدول العربية الأخرى.

7. المشاركة في فعاليات "ندوة كليات الحقوق والاقتصاد وآفاق تطويرها" التي نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية السوري خلال المدة ما بين 5-7 تموز/يوليو 2003.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

8. تمثيل المنظمة والمشاركة في فعاليات "الندوة الإقليمية حول توظيف تقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم" التي أقامها المكتب الإقليمي للاتحاد الدولي للاتصالات بدمشق خلال المدة ما بين 15-17 تموز/يوليو 2003.
9. المشاركة في "الحلقة العملية لشبكة المترجمين للعلوم الطبية وصياغة الرسائل الصحية باللغة العربية" التي عقدها المكتب الإقليمي لشرق المتوسط - منظمة الصحة العالمية في القاهرة خلال المدة ما بين 27-28 آب/أغسطس 2003، وقد تقدم الأستاذ الدكتور مدير المركز بورقة إلى هذه الحلقة حول دور المركز في تعريب العلوم الطبية وإنجازاته في هذا المجال، وما أصدره من أمهات الكتب والمراجع المعربة في مختلف فروع العلوم الصحية. كما وشارك في تأسيس "الشبكة العربية لتعريب العلوم الصحية". كذلك فقد شارك المركز في معرض الكتب الطبية والصحية الذي أقيم على هامش هذه الحلقة.
10. حضور حفل افتتاح والمشاركة في أعمال ندوة "التعليم العالي رؤية شاملة ودوره في الارتقاء بخطط التنمية" التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية السوري في دمشق خلال المدة ما بين 1-3 أيلول/سبتمبر 2003.
11. حضور فعاليات "ندوة العولمة والحدائق" التي أقامها معهد ثريانتس الإسباني بالتعاون مع وزارة الثقافة السورية، وذلك في دمشق خلال المدة ما بين 21-23 أيلول/سبتمبر 2003.
12. تلبية دعوة مركز الدراسات المائية والأمن المائي العربي لحضور الاجتماع التتسيقي الأول مع المنظمات العربية والإقليمية والدولية المعنية بالشأن المائي في المنطقة العربية، وذلك يوم 19 تشرين الأول/أكتوبر 2003.
13. المشاركة في الحفل التذكاري الذي أقامه مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة انقضاء 50 عاماً على وفاة مؤسس المجمع الأستاذ الرئيس محمد كردعلي، وذلك يوم 20 تشرين الأول/أكتوبر 2003.
14. حضور حفل افتتاح والمشاركة في فعاليات "المؤتمر الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق" الذي عقد في دمشق في المدة ما بين 20-23 تشرين الأول/أكتوبر 2003.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

15. المشاركة في المعارض التالية:
 - معرض صنعاء الدولي العشرون للكتاب
 - معرض مكتبة الأسد التاسع عشر في دمشق
 - معرض الكتاب العربي السنوي في بيروت
 - معرض الكتاب العربي الثامن والعشرون في الكويت
16. تم الاتفاق مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية على شراء كتب طبية معربة من إصدارات المركز بمبلغ 10000 دولار .
17. جرى الاتفاق مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية على تكليف المركز بترجمة عدد من الكتب الصحية لصالح منظمة الصحة العالمية.
18. تلبية دعوة اللجنة التنفيذية للجمعية العلمية لكليات الصيدلة في الوطن العربي لحضور مؤتمر الهيئة العمومية السابع للسادة عمداء كلية الصيدلة في الوطن العربي، وذلك في رحاب كلية الصيدلة بجامعة القديس يوسف في بيروت خلال المدة ما بين 4-6 كانون الأول/ديسمبر 2003. وقد شارك الأستاذ الدكتور مدير المركز بمداخلة أكد فيها على دور المركز الكبير في مجال تعريب العلوم الصحية، ومنها العلوم الصيدلانية، كما وأشاد بالتعاون المثمر القائم بين المركز والجمعية العلمية لكليات الصيدلة والذي تجسد في ترجمة وإصدار وتوزيع اثنين من أهم المراجع وأشهرها عربياً وعالمياً في العلوم الصيدلانية.
19. المشاركة في حفل افتتاح "الاجتماع الحادي عشر للجنة الإقليمية المكلفة بتطبيق الاتفاقية الخاصة بالاعتراف بدراسات التعليم العالي وشهاداته العلمية في الدول العربية" الذي أقامه مكتب اليونسكو الإقليمي في دمشق يوم 13 كانون الأول/ديسمبر 2003.
20. استضافة اجتماع "لجنة التحكيم لجائزة ابن خلدون للترجمة من الفرنسية إلى العربية في العلوم الاجتماعية والتقنيات الحديثة لعام 2003" الذي جرى في مقر المركز يومي 15 و 16 كانون الأول/ديسمبر 2003، وقد شارك الأستاذ الدكتور مدير المركز بصفته عضواً في لجنة التحكيم هذه.

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

21. المشاركة في فعاليات "المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي" الذي عقد في دمشق في المدة ما بين 15-18 كانون الأول/ديسمبر 2003، وقد أقام المركز معرضاً لإصداراته وإصدارات المنظمة على هامش هذا المؤتمر.
22. حضور حفل افتتاح والمشاركة في فعاليات ندوة "الأدب المقاوم عند الشعراء والأدباء العرب" التي نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية السوري، وذلك في رحاب جامعة البعث بمدينة حمص يوم 20 كانون الأول/ديسمبر 2003.
23. تمثيل المركز في لجنة الترجمة والتأليف والنشر بوزارة التعليم العالي السورية وحضور اجتماعاتها والمشاركة في فعاليات وأنشطتها المختلفة.
24. تسير الأمور المالية والإدارية للسادة الأساتذة والخبراء الموفدين من قبل مختلف إدارات المنظمة، وتأمين الحجوزات والترتيبات اللازمة لاقامتهم وسفرهم.

التحريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 . ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 . أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 . ترسل المادة المراد نشرها مرقونة على الآلة الكاتبة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى نسختين، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 . تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه مكتوبة باللغة العربية على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 . ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة عن سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 . تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 . تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار بشكل واضح إلى أمكنتها في متن النص.

8 . يتم تعريب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 . تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

. أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

. أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

. ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.

. أن يصحب العرض بمعلومات ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

- 10 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.
- 11 . تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتبنى قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
- 12 . يحق للمجلة . إذا رأت ضرورة لذلك . إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
- 13 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
- 14 . تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
- 15 . لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة،

التعريب العدد السادس والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2003

وبموافقة خطية من رئيس التحرير مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16 . إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 . تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 . ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور رئيس التحرير إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11. 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الانترنت: www.acatap.org



إصدارات المركز من الكتب المعربة

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولار

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولار

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولار

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولار

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولار

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولار

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولار

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولار

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولار

10 . الأسس الفيزيائية لليزرز التقنية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولار

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزرز التقنية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولار

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولار

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولار

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولار

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولار

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولار

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر. ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولار

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولار

19 . أنظمة الاتصالات الإلكترونية المتقدمة

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولار

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولار

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولار

22 . طب الأمراض المعدية والتغذية - نفد -

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولار

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية - نفد -

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولار

24 . الآلات الكهربائية والميكروية

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 - السعر 18 دولار

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولار

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نقد -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولار

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولار

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولار

29 . الكيمياء التحليلية - نقد -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولار

30 . الكيمياء الفيزيائية - نقد -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولار

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كاميل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولار

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نفذ -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولار

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نفذ -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولار

34 . الفيزياء المتقدمة

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولار

35 . بحوث العمليات - نفذ -

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولار

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولار

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيوستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184 - السعر 7 دولار

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولار

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولار

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولار

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولار

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولار

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولار

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولار

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولار

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولار

47 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف – ترجمة: د. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 392 – السعر: 12 دولار

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر: 6 دولار

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر: 15 دولار

50 - الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد آنسل وآخرون - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 896 - السعر 25 دولار

51 - التركيب - دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاويد - ترجمة: د. محمد كامل التيناوي - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 920 - السعر 27 دولار

52 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الأول

52 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 364 - السعر 10 دولار

53 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 424 - السعر 12 دولار

54 - منشآت تجميع مياه الأمطار - إرشادات تنفيذية

54 - Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف - ترجمة: أ. نزيه يانس - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 160 - السعر 5 دولار

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولار

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولار

57 - مواد البناء واختباراتها - شروح ومسائل وتمارين

57 - Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 272 - السعر 6 دولار

58 - أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند - ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 432 - السعر 14 دولار

59 - جيوتقنية مكبات النفايات ومظامرها

59 - GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية - ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 864 - السعر 25 دولار

60 - التنمية الزراعية المستدامة

60 - Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 264 - السعر 7 دولارات

61 - تنظيم الحاسوب وبنائه

61 - Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر - ترجمة: د. محمد نوار العوا ود. جورج صنيح ود. فيصل العباس - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 748 - السعر 21 دولار

62 - أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 - Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي - ترجمة: م. محمد موفق العوا - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 344 - السعر 12 دولار

63 - التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 - Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري - ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 424 - السعر 14 دولار

64 – طب العيون العام

64 – General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان – ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 696 – السعر 18 دولار

65 – اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 – Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 640 – السعر 12 دولار

66 – مبادئ تحلية المياه المالحة

66 – Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 232 – السعر 5 دولار

67 – التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 – High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون – ترجمة: د. راكان رزوق – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 428 – السعر 9 دولار

68 – علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 1044 – السعر 28 دولار

69 – محاضرات في الطب الجزيئي

69 – Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون – ترجمة: أ.د. وفيفة زرزور – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 244 – السعر 6 دولار

الكتب التربوية

70 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

70 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولار

71 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

71 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولار

72 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

72 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولار

73 - تطوير نظم الجودة في التربية

73 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولار

74 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

74 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولار

75 - تعليم العلوم لجميع الأطفال

75 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولار

76 - التصميم المنظم للتعليم

76 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولار

77 - التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

77 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولار

78 - إدارة نظم التعلم عن بعد

78 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولار

79 - المرجع في جهود محو الأمية

79 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولار

80 - الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

80 - The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولار

81 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

81 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولار

82 – سيكولوجيا التربية والتكوين

82 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولار

83 – الدافعية والنجاح المدرسي

83 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولار

84 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

84 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولار

85 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

85 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولار

86 – التقويم الصفّي والتعلم

86 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

87 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

87 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 –
السعر 8 دولارات

88 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

88 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد
الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

89 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

89 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 –
السعر 8 دولار

90 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

90 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 –
السعر 5 دولارات

91 – التعليم التحولي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

91 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات:
400 – السعر 9 دولارات

92 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

92 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد
الصفحات: 720 – السعر 18 دولار

